الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أدب الرحلة في الجزائر

رحلة ابن حمادوش الجزائري: " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال " أنموذجا.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي.

تخصص: أدب جزائري.

إعداد الطّالبتين:

* زوبيدة برادع
* فتحية عيساوي

إشراف الأستاذة:

* ليلى مهدان .

أعضاء لجنة المناقشة

1/ .....رئيسا

2/ .....مشرفا ومقررا

3/ .....عضوا

السنة الجامعية:

2016/2015

الـــدعـــاء

" لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

ربّنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا

ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا وارحمنا أنت مولانا

فانصرنا على القوم الكافرين"

كلمة شكـــر

اللهم لك الحمد والشكر، وأنت المستعان وأفضل الصلاّة والسّلام على نبيّك المصطفى العدنان، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كلمة الشكر هي أقلّ ما أقابل به أفاضل أولئك الذين ساهموا في تحفيزي إنجاز هذا العمل، ونشكر أهل الفضل على ما قدّموا من واجب يسعدني، وهو فضيلة إسلامية فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أحبّ الشّكر من عباده فقال﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ومهما يفعل المخلوق فهو لن يبلغ الوفاء إلاّ بفعل الخالق، فقد أعطى ووهب وأعان ولا فضل فوق فضله، ولا عطاء يعادل عطاءه فلربّي أصدق الحمد والشكر.

نتقدّم بخالص الشكر والتقدير للأستاذة" مهدان ليلى" التي قبلت الإشراف على هذا البحث، فلم تبخل علينا بإرشاداتها ونصائحها، فبارك الله فيها وأكثر من أمثالها.

كما نتوجّه بالشّكر إلى كلّ زملاء الدّراسة.

إلى كلّ من ساعدنا طيلة هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيّبة أو حتى ابتسامة عطرة.

إهـــــــــداء

إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك

ولا يطيب النّهار إلاّ بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك، ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك الله جلّ جلاله، إلى من بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرّحمة ونور العالمين سيّدنا " محمد صلّى الله عليه وسلّم".

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان وبسمة الحياة ومعنى الوجود إلى من ضحّت بسنين شبابها من أجل أبنائها

*** إليك أمي العزيزة***

الى من هو بعيد عني لكنه قريب إلى قلبي، حفظه الله من كل شر .....

***إليك أبي العزيز ***

إلى روح جدّتي الطاهرة... إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانّها بلسم جراحي، التي كانت غاية المنى لديها رؤية أحفادها وهم يحققون النجاحات في دراستهم ومستقبلهم رحمها الله.

إلى عشرة والدي

*** .عبد الله. سفيان***

إلى من تقاسمت معي الأفراح والأحزان إلى أخواتي: زهيّة، سهيلة، فاطمة الزهراء، وسام، نسرين وإلى بهجة البيت فرح، نهال، سندس، هناء، نور، إسلام، سارة وريهام.

إلى كل من قدّم لي يد العون في هذا العمل الطيّب خاصّة" فاطمة" أشكرها كثيرا.

إلى صديقتي وشريكتي في هذا العمل" فتيحة" أتمنى لها التوفيق.

إلى جميع طلبة الأدب العربي جامعة خميس مليانة.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكّرتي....

« زوبيدة»

إهـــــــــداء

إلى مورد الحب الصادق ونبع الحنان الدافق، إلى معنى ابتسامتي وسر سعادتي إلى من غمرتني بحنأنّها وتذكرتني بدعائها

*** أمي الحبيبة ***

إلى اعز الناس على قلبي وأقربهم إلى نفسي، إلى من يعجز اللسان عن التعبير عن حبي له إلى الغالي على قلبي .

*** أبي العزيز ***

إلى اغلي الناس على قلبي إلى من أشاركهم الحب والعاطفة أخواتي: عبد القادر ، فاطمة ، سهام جمال، يزيد و إلى زوجة أخي حسيبة ، إلى البراءة محمد الأمين سراج الدين ، منصف.

إلى صديقاتي العزيزات زوبيدة ، فاطمة الزهراء عقيلة.

إلى من تسعهم ذاكرتي ولا تسعهم مذكرتي.

فتحية

مقدمة

الحمد لله لا إله سواه، نحمده حمدا كثيرا وطيبا مباركا فيه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا، والصّلاة والسّلام على سيّدنا الكريم خاتم النبيين والمرسلين من كان رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

شغلت الدّراسات العلمية والنقديّة في عالمنا العربي خاصة والغربي عامّة بدراسة فنون الأدب المتباينة من قصّة طويلة كانت أو قصيرة أو شعر أو مقالة، وما كان هناك لون أدبي لم يحظ إلاّ بالقليل من الدراسات على الرّغم من أنّه شهد عددا كبيرا من التآليف ألا وهو" أدب الرّحلة" أي ذلك النّثر الأدبي الذي يتّخذ من الرّحلة موضوعا، أو بمعنى آخر عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميّز وفي لغة خاصّة ومن خلال بناء فنّي له ملامحه وسماته المتنقّلة إذ أن الرّحلات كانت من دعائم الفكر العربي في العصور السّالفة ولازالت قائمة إلى حدّ يومنا هذا.

أدّى الرّحالة العرب وغيرهم مهمّة سامية للأجيال القادمة، إذ أسهمت كتاباتهم في نقل كثير من الصّور الجميلة والمشاهد المميّزة لكثير من البلدان وطبيعتها الجغرافية وظروفها المعيشة وسلّطوا الضوء على تاريخ هذه البلدان وأفكار سكأنّها وعاداتهم وتقاليدهم قد تختلف وقد تتفق عن عادات البلاد التي جاء منها هؤلاء الرّحالة فأسهموا بذلك في نقل بعض ثقافات الشعوب الأخرى وإثارة الاهتمام بها، وتشجيع المهتمين من العلماء وطلبة العلم على زيارة تلك البلاد للأخذ من معارفها وعلومها.

تضم كتب الرّحلات في تراثنا العربي كثيرا من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية وهذا ما يدوّنه صاحب تدوين المشاهد ذلك من جرّاء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالنفس وبالناس وبالحياة، بمعنى أنه ينقل ما يراه ليضعه بين أيدي الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين ودارسي الأدب.

أمّا فيما يخص الوصف فهو يعتبر أهم عنصر في محتوى الرّحلة على أتمّ وجه، فهو ذلك التّصوير للعالم الخارجي أو الدّاخلي من خلال الألفاظ والعبارات، ووظيفته تكمن في خلق البيئة

التي تجري فيها أحداث القصة وتكوين نسيجها، ولا يجوز للقاص أو الرّحالة أن يتّخذ من الوصف مادّة للزينة، وإنما يوظفه لتأدية دورها في بناء الحدث، متّبعين في ذلك المنهج التاريخي والوصفي والتّحليلي.

ولعلّ الحافز القويّ الذي جعلنا نستقي موضوع الرّحلة من بين الفنون الأدبيّة، هو ذلك الشّغف الشّديد لمعرفة خبايا وأسرار الرّحلات وما تحمله من مغامرات وعادات بالإضافة إلى تقاليد الشّعوب. وهذا الموضوع الشيّق الملفت للانتباه جذبنا إليه ليكون موضوع مذكّرة تخرّجنا، حيث قمنا باستقصاء بعض المعلومات ولو لم تكن بالكمّ الكبير، إلاّ أننا نحمد الله على كل شيء.

والإشكالية المطروحة: ما هي أهم الموضوعات المعالجة في رحلة ابن حمادوش الجزائري؟ و ما هو أدب الرّحلة؟ وما قيمته في الأدب العربي؟ وما هي أهم دوافعه؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتّبعنا الخطة التي انقسمت إلى مدخل وفصلين فأمّا المدخل تناولنا فيه مفهوم الرّحلة لغة واصطلاحا والرّحلة في القرآن والسنّة النبوية، الرّحلة العربيّة قبل الإسلام وبعده، بينما تطرّقنا في الفصل الأوّل إلى تحديد بعض المفاهيم المتعلّقة بالرّحلة العربيّة وأدب الرّحلات، إذ حددنا نشأة أدب الرّحلة، ومفهومها والدّوافع التي أدّت بالرّحالة إلى القيام بهذا النشاط، كما عدّدنا أنواع الرّحلة العربيّة والتي اختلف الدّارسون في تحديدها، فكيفما كانت الدّوافع كانت الأنواع، ثمّ تطرّقنا إلى أدب الرّحلة في العالم بما فيه من رحّالة مشاهير من العرب والمسلمين، كما تحدّثنا كذلك عن أدب الرّحلة في الجزائر وقيمته.

أمّا الفصل الثاني فهو عبارة عن دراسة وصفيّة لرحلة" ابن حمادوش" المسمّاة" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" حيث قمنا بدراسة موضوعاتها وسبب تأليفها وقيمتها. كما عالجنا أسلوب الرّحلة ومنهجها.

ومن جملة المصادر والمراجع اعتمدنا على مصدرين مهمّين أوّلهما: مقدّمة" ابن خلدون" ورحلة" ابن حمادوش" بالإضافة إلى مراجع وهي: أدب الرّحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل وسميرة أنساعد في الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري والرّحلات الحجازية، وشوقي ضيف في الرّحلات إضافة إلى مراجع أخرى.

واجهتنا صعوبات عدّة منها قلّة المصادر والمراجع، قلة الوقت وضيقه، وعدم الإلمام بجميع جوانب الموضوع، وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أتوجّه إلى المولى عزّ وجلّ بالدّعاء أن نكونا قد وُفِقنا فيما قدّمنا في هذا البحث، وأخص بالذّكر الأستاذة المشرفة لما لها من فضل التّوجيه والإشراف ومتابعتها لهذا البحث خطوة بخطوة، فلولا ملاحظاتها لما ظهر البحث في ثوبه هذا والله الموفق.

مدخل

أدب الرّحلة

عُرف الإنسان منذ القدم بحبّه وشغفه للتّرحال فقد قيل:" وُلِد الإنسان راحلا" وذلك لما استدعته الحاجة للبحث عن الظروف المعيشية الملائمة والمناسبة له، وقد استطاع أن يفكر في جوانب أخرى لتلك الرّحلات التي كان يقوم بها، فقد أضحى متطلّعا إلى اكتشاف المجهول وما تحمله من أماكن وخيرات وكنوز، والرغبة في معرفة ما في العالم من عادات وتقاليد وأخلاق، وهذا التفكير في ذهنه ولّد أسئلة واستفسارات كثيرة قادته إلى ولادة فن جديدمن بين الفنون الأدبيّة المختلفة ألا وهو" أدب الرّحلة"، إذ احتلّت الرّحلة في الأدب الحديث منزلة رفيعة، وأصبحت فنّا من الفنون الشائعة في معظم بلاد العالم. وللإشارة فإن الرّحلة تنبعث من الوصف الطريف للواقع والسرد الفنّي للمغامرة الإنسانية والعواطف المحرّكة للبشر، والتي تنبع من أنواع الشخصيات الّتي تبرزها إذ أصبحت الحلقة التي عملت على اكتشاف الذات الإنسانية واختراق الحواجز بين مختلف الشعوب والأقوام، فهي سرّ وحدة الناس وخاصة في زمن انعدمت فيه وسائل الاتّصال.

سبقت الإشارة إلى أنّ الرّحلة كتابة تستند إلى عناصر بلاغية وإبلاغية متعدّدة، وهي بذلك تشارك النص سواء كان أدبيا أو غير أدبي في هذه العناصر الإشارية التي لا غنى عنها في هذا المجال.[1]

1- الرّحلة في المفهومين اللّغوي والاصطلاحي:

1-1-الرّحلة لغة:

حظيت مادة« رحل» بشرح واف في العديد من المعاجم العربيّة فقد جاء في لسان العرب:«التّرحيل والرّحال بمعنى الإشخاص والإزعاج يقال: رحل الرّجل إذا سار، وأرحلته أنا. ورجل رَحُول وقوم رَحَلَ: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذلك مجيد له...»[2]، فقد تعددت مفاهيم" الرّحلة" غير أنّها تصب في مفهوم واحد وهو الترحال والارتحال أي الانتقال من مكان إلى آخر. فاللغة العربيّة بحر واسع وعميق بالمعارف والعلوم المختلفة.

ورد لفظ(الرّحلة) في موضع آخر بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر« والترحل والارتحال: الانتقال، وهو الرّحلة، والرّحلة اسم للارتحال للمسير...».[3] لقد زخرت اللغة العربيّة بمفردات ومصطلحات لها دلالات مختلفة، فهي تختلف في معناها من كلمة إلى أخرى.

---

[1]- ينظر،عبد الرحيم مؤدّن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار الأهلية للنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 2006، ص37.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله على الكبير وآخرون، مج 3، ج 18، دار المعارف، القاهرة، د/ ط، د/ ت، ص 1609.

[3]- المصدر نفسه، ص 1609.

ومن معاني الرّحلة التي وردت كذلك في لسان العرب هي السفرة الواحدة، كما أشار إليها" ابن منظور" "الرّحلة السّفرة الواحدة...".[1] ربّما تعتبر الرّحلة سفرة واحدة، كون الأولى تصبح وكأنّها مرحلة انتقالية في حياة الرّحالة، ولو كانت هناك رحلة ثانية لن يكون لها الانطباع نفسه بالنسبة لنفسيّة الرّحالة.

إن لفظ" الرّحلة" يطلق على عدّة معان، فقد جاءت" بمعنى السّير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السّفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرّحيل ولهذه المعاني كلّها لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ رحال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر" [2]مع اختلاف تعاريف" الرّحلة" أصبحت وجهة أو مقصدا يقصده المرتحِل حتى يتطلّع إلى ثقافات بلدان مختلفة.

فمشتقات مادّة« رحل» كثيرة ومتعددة، وتدلّ كلّها على الحركة لأن الرّحلة في الحقيقة ما هي إلا حركة وانتقال تبعث في الإنسان الحيويّة والنشاط، وتعود عليه بمنافع عدّة في مختلف مجالات حياته، على عكس السّكون الذي يبعث في صاحبه الجمود والخمول.[3]

---

[1]– ابن منظور، (المصدر السابق)، ص1609.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرّياض، د/ ط، 1996، ص 40.

[3]– ينظر، ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرّابع، مكتبة الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1995، ص 23.

ولعلّ هذا ما دفع بـ" ياقوت الحموي" إلى اعتبار الحركة من دلائل الحياة والسّكون من دلائل الموت، وإن تتحرّك حركة ضعيفة يُؤمَل أن تُقوّى، أحبّ من أن تسكن"[1] لأن في الحركة نبض حيوي يحقّق الانتصار على عكس الجمود الذي يولّد الخمول والكسل والنتائج السلبية.

1-2-الرّحلة اصطلاحا:

يشترك المفهومان اللغوي والاصطلاحي للرّحلة في الحركة على أنّها لون أدبي ذو طابع قصصي يحمل فائدة للمؤرخ والباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع واكتشاف المعالم والأقطار ووصفها والحكم عليها، فهي إذن وصف لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرّحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذلك الواقع والخيال،وأسلوب القص والحقائق العلميّة والتاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة وغيرها.[2]

احتلّت الرّحلة مكانة متميّزة في التراث العربي من طرف الباحثين والدارسين على حدّ سواء وكرّست لها مجهودات كبيرة في سبيل معرفة أصولها والكشف عن أسرارها، وبغضّ النظر عن كونها لون أدبي ذو فائدة للباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم فهي في الوقت نفسه

---

[1]– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان ج 2، دار صادر، بيروت، د/ ط، 1977 ص420.

[2]– ينظر، عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر « بن عكنون»، د/ ط، 1995، ص 07.

تمثّل المتعة التي استهوت أذهان القرّاء والباحثين، فالرّحلة إذن ليست سوى تجربة إنسانية حيّة يتمرّس بها، حيث يصبح أكثر فهما وأصدق ملاحظة وأغنى ثقافة وأعمق تأمّلات.[1]

1-3-الرّحلة في القرآن والسّنة:

حثّ الإسلام على الرّحلة، وتشجيع الناس عليها كما دعا إلى السّفر والسيّاحة في الأرض طلبا للعلم والمعرفة، التي تعود عليهم بالمنافع فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[2]. فقد ارتبطت الرّحلة بعبادة أهل مكّة برحلتي الشّتاء والصّيف إلى الشام واليمن لغرض التّجارة.

كما جاءت لفظة«رحل» في القرآن الكريم بمعنى البعير، وهي مرادفة للرحّالة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.[3] وردت لفظة" رحل" في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة ودلالات متعدّدة نفهمها من خلال سياق الآية.

كما شجّع الرسول- صلى الله عليه وسلّم- الرّحلة في طلب العلم فقال« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة» وهو دليل على أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلّم كان يحبّذ السّفر والتّرحال في أرض الله الواسعة. [4]

كذلك يقول الله تعالى:«﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

---

[1]- ينظر، محمد يوسف نجم، فن المقال، دار الثقافة، بيروت، د/ط، 1966، ص 114.

[2]- سورة قريش، الآية 1- 4.

[3]-سورة يوسف، الآية 70.

[4]- سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطوّر والبنية، دار الهدى، الجزائر« عين مليلة» د/ ط، 2009،، ص 19.

يَعْقِلُونَ﴾»[1] فقد حثّ الله سبحانه وتعالى المؤمنين على التنقل وركوب البحر، إمّا بحثا عن الرّزق أو المال أو البحث عن المعرفة واكتساب الخبرة في هذه الحياة، واكتشاف ما خلق الله في هذه الحياة من تنوّع في الأراضي والأنعام والخيرات والانتفاع بها وتسخيرها لخدمة الخير.

ويقول كذلك عزّ وجلّ:« ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾»[2] فمن خلال الآية الكريمة نشير إلى مخلوقات الله تعالى في هذا الكون، وحياتهم في هذا الفلك وسعيهم وراء رزقهم وكذا قوت عيشهم.

ونذكر آيات أخرى بمجاهل البرّ والبحر التي يعرف العرب جانبا من ظلماتها وكان بعضهم يخشى البحار، كما يعرفون أيضا ما ينالونه من خيرات لقوله تعالى:«﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾».[3] كرّم الله تعالى الإنسان أحسن تكريم وميّزه بالعقل الذي هو ميزة خاصة ينفرد بها الإنسان دون سائر الكائنات الحيّة الأخرى حتّى يستطيع التّمييز بين الخير والشر، والسعي في هذه الحياة إلى برّ الأمان.

توجّه الله عزّ وجلّ بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسّير في البّر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيدا وقد كانت تلك الدّعوات تشجيعا لهم على تحمّل مشاق السّفر انتفاعا في البداية بالخيرات ثمّ بعد ذلك تدريبا على حمل الرّسالة ونشر الدّعوة ولن تبلغ الرّسالة كافّة الخلق، إلا بعد السّفر وقطع المسافات، والطّواف بالأهصار شرقا وغربا، وكانت إحدى أسس الإسلام الخمسة حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا، فقال سبحانه وتعالى في سورة الحجّ:«﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾» [4] فالحجّ إذن فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يكتمل إسلام المرء

---

[1]– سورة البقرة، الآية 164.

[2]– سورة يس، الآية 41.

[3]– سورة الإسراء، الآية 70.

[4]– سورة الحجّ، الآية 27.

دون الحجّ، وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدّعوة الكريمة بكلّ حماس، ينفقون في سبيلها كلّ مرتخص وغالٍ، وقبل أن يحين موسم الحجّ بشهور تتحرّك القلوب منطلقة إلى البيت الحرام ثمّ يركب الحجيج الدّروب الطّويلة في اتّجاه مكّة والمدينة، لأن من حق الحاج على سلفه أن يبيّن له خير الطّرق للوصول إلى الأماكن المقدّسة ويشرح له المخاطر ليستعدّ لها، ويؤمّن طريقه للوصول بسلامة إلى بيت الله الحرام.

2- مفهوم أدب الرّحلة:

أدب الرّحلة من الفنون الأدبيّة النثرية التي عرفت ازدهارا في أدبنا العربي منذ القرون الأولى، حيث وصف فيه الرّحالة ما يرون ومن يرون وجعلوا كتبهم تأخذ طابعا فنيّا، أدبيّا، تاريخيّا وجغرافيّا، حتى أصبحت أشبه بالموسوعة الثقافية، ويهتمّون في كتابة رحلاتهم بأسلوب التّشويق.[1]

فقد جاء في معجم المصطلحات العربيّة في" اللغة والأدب" أنّ أدب الرّحلة هو مجموعة الآثار الأدبيّة التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها إلى ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعيّة التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلةً مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.[2]

فأدب الرّحلة أدب وصفي ذو طابع إخباري تسجيلي، يهتمّ بجمع أخبار البلاد والعباد وتسجيل المشاهد الغريبة والطّريفة وهو يتّسم بسمات تاريخية وجغرافية لاهتمامه بحياة النّاس وتقاليدهم وأنماط عيشهم، كما يتميّز بمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه الأدبي المتميّز غالبا عمّا يراه.[3]

---

[1]- ينظر، عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرّحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر، دحلب د/ ط، 2007، ص ص33- 34.

[2]- ينظر، مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة الحياة، بيروت، ط 2، 1979، ص 17.

[3]- ينظر، عبد الصمد عزوزي، الرحلة في المغرب العربي دوافعها، أنواعها، روّادها، دراسات أدبية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، ع 08، 2010، ص 134.

حدّد" مجدي وهبة" مفهوم أدب الرّحلة على أنّه" المؤلّفات التي تتحدّث عن مغامرات واقعيّة قام بها الرّحالة، وتعرّف من خلالها على أحوال البلاد التي زارها، وعادات أهلها، وسلوكهم والتي تركت في نفسه انطباعات عدّة نقلها لنا من خلال مؤلّفه ذلك أنّ الرّحالة وهو يجوب مختلف الأقاليم يتأثّر بما يلاحظه ويسمعه من مظاهر مختلفة. [1]

في حين يعرّفه بن سعيد العلوي بأنه جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبيّة، كونه خطاب مخصوص له منطقه الذّاتي وبناؤه ومكوّناته وعناصره،يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عمّا يراه، والإمتاع لمّا يرصد لنا ما هو عجيب، يفيد القارئ من جهة، ويمتّعه من جهة أخرى بما يتضمّنه من مشاهد وحقائق جديدة.[2]

يمكن للباحث أن يظفر بمئات من الكتب في أدب الرّحلات أي ذلك النثر الذي يتّخذ من الرّحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميّز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصوّر بناء فنّي له ملامحه وسماته المستقلّة.[3]

أما أسلوب الوصف في الرّحلات فقيمته متأنيّة مع أنّها تصوّر لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تركها في نفسه، ومشاهدة الطبيعة وآثارها، فهي بذلك مغامرة ممتعة تقوم بها روح حسّاسة في أمكنة جديدة، وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد.[4]

كما يستخدم النّثر المعبّر عن ذات الرّحال، والحامل لخصائصه دون تكلّف أو إسراف مع المحافظة على بنية تماسك العمل ووحدته، إنّه فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده المتشعّبة

---

[1]– ينظر، مجدي وهبة، (المصدر السابق)، ص 17.

[2]– ينظر، سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة: صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة+ منشورات كلّية الآداب، الدار البيضاء، ط 1، 1995، ص 14.

[3]– ينظر، سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة" قديما وحديثا"، مكتبة غريب، القاهرة، د/ ط، د ت، ص 113.

[4]– ينظر، ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص 40.

والهدف منه التّأثير في القارئ والتّواصل معه، حيث يستمتع بكلّ ما فيه وتزداد ثقافته ومعارفه بطريق غير مباشر أو محسوس، بل إنّه يجعل القارئ يقوم برحلة ممتعة دون حركة أو انتقال.[1]

إذن أدب الرّحلة كان ومازال تلك المدرسة، أو بمعنى شامل الجامعة التي تزخر بالعبر والعلوم المختلفة، فهي تلك الحلقة المدهشة التي عملت على اكتشاف الذّات الإنسانية، واختراق الحواجز بين مختلف الشعوب والأقوام، فهي سرّ وحدة النّاس وخاصة في زمن انعدمت فيه وسائل الاتصال.[2]

3- الرّحلة العربيّة قبل الإسلام:

تشير كتب المؤرخين أن عرب ما قبل الإسلام اهتمّوا بالتجارة والتي كانت خارج أوطانهم برّا وبحرا، والغالب على الأمر أنّهم عرفوا الملاحة والإبحار منذ القديم، وهذا ظاهر من خلال رحلاتهم التّجارية إلى بلدان متعدّدة، وذاع صيتهم في شرق الجزيرة وحتّى الهند وما وراءها وما ذُكِر في بعض المصادر أنّ" الاسكندر الأكبر" فكّر في غزو الجزيرة العربيّة عن طريق موانئها على الخليج العربي، وذلك لقطع صلاتها بالأسواق الإفريقية والهنديّة، كما أراد القضاء وبشكل كلّي على سيادة العرب وعلى الخطوط التّجارية البرّية والبحرية، وكذلك الحدّ من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار السّلع الثّمينة القادمة من الشّرق محمّلة على سفن عربيّة أو على ظهور جمال القوافل وبعدها تنقل إلى أوروبا.[3]

---

[1] ينظر، ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص 41.

[2]– ينظر، شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي،التّجنيس– آليات الكتابة– خطاب المتخيّل– رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط 1، 2006، ص 45.

[3]– ينظر، فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة، ط 2، 2002، ص 25.

ولعلّ من أقدم النماذج الذاتية رحلة التاجر" سليمان السّيرافي" بحرا إلى المحيط الهندي في القرن الثالث للهجرة، ورحلة" سلاّم الترجمان" إلى حصون جبال القوقاز عام 277م، بتكليف من الخليفة العبّاسي.[1]

كان للعرب رحلات تجاريّة مزدهرة خاصّة مع الشّام والعراق واليمن وأنّها لم تُدوّن أخبار هذه الرّحلات تدوينا خاصا شاملا لها، إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشّعر وكتب اللغة وعن بعض هذه الرّحلات يذكر القرآن الكريم رحلات قريش وذلك لقوله تعالى:«﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ،إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ،الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾» [2] ورد في الآية الكريمة نعمة الله على أهل مكّة فالأولى تضمّنت إهلاك عدوّهم الذي جاء ليهدم الكعبة وهذا أساس مجدهم، والثانية ذكرت نعمة أخرى هي اجتماع أمرهم، والتئام شملهم، ليتمكّنوا من الارتحال صيفا وشتاء في تجارتهم.

كان السّبئيون أقدم الأقوام العربيّة التي تخطّت عتبة المدينة وكانوا ففينيقي البحر الجنوبي قد عرفوا طرقه وتعرّجات سواحله وموانئه، فامتلكوا بذلك تجاربه خلال القرون الثلاث عشر الأخيرة قبل ميلاد المسيح، وكانت الانتصارات التي أحرزها عرب الجنوب انتصارات اقتصادية وتجاريّة شأنهم في ذلك شأن الفينيقيين ولم تمن الممالك التي شادوها دولا حربية، وإنما كانت ممالك تجارية ويمتد عمر سبأ الذّهبي بين 250 و 150 ق. م على وجه التّقريب بعد أن ورثوا مملكة أقربائهم المعنيين وأصبحوا سادة على بلاد الغرب الجنوبيّة، وكان حظا التّجارة الرّئيس في البحر الأحمر

[1]– ينظر، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1955، مج 11، ص 140.
[2]– سورة قريش، الآية 01– 04.

حينذاك يمتد من باب المندب إلى وادي الحمّامات على ساحل مصر لوسطى ولكن سبأ اضطرّت لما يلازم الملاحة في أنحاء هذا البر الشمالي من آفات إلى افتتاح خطوط برّية بين اليمن والشام تحاذي ساحل الجزيرة الغربي وتؤدي إلى مكّة المكرّمة والبتراء.[1]

4- الرّحلة في الإسلام:

حقّقت الدّولة الإسلامية نجاحا سياسيا كبيرا خاصّة في القرن الثامن هجري،كما حقّقت كذلك توسّعا في الفتوحات، وهذه النجاحات كانت حافزا على غزو ميادين جديدة تعزّز النصر السياسي والحضاري، وتساعد على بناء دولة متقدّمة قائمة على العلم والإيمان، وتعطي الفرصة كاملة لعقل الإنسان حتى يبتكر ويبدع في مختلف مجالات الحياة، حيث تحمّس الكثير من الأشخاص إلى السّفر، وذلك بانطلاق الرّحلات سواء إلى الحج أو طلب العلم أو التّجارة في الإطار الرسمي الذي دعت إليه الحاجة والاهتمام بشؤون العمّال بجمع الجزية والخراج.[2]

تعدّدت أوجه الرّحلة عبر مرور الأزمنة، فقد حرص بعض الرّحالة على تدوين مشاهداتهم وذكر مواقفهم المتباينة والمختلفة والمعاناة التي مرّوا بها وهم يجولون في البلاد والأقطار ونستطيع القول إن الرّحلات بكل صوّرها وأسبابها وأهدافها كانت من الأعمدة الرئيسية في صرح الحضارة العربيّة فكون الرّحلة وسيلة للمعرفة فهي أيضا فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ منه وإثارة الشعوب حتى يتنافسوا، ويسموا طموحهم إلى السيادة وهذا لا يتحقق إلا بالاكتشاف والتّرحال، فلولا الرّحلة لما سمعنا عن" البيروني" أو" المسعودي" و" ابن خلدون"، ولا قرأنا عن" الإدريسي" و"المقدسي"

---

[1]- ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص63- 65.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 25.

ولولاها ما استمتعنا بكتابات ابن بطوطة وياقوت الحموي و" البغدادي" و" ابن جبير" ولولاها ما ظهر في سماء الأمة الإسلامية علماء كبار في كافة مجالات الأدب والعلم والفلسفة.[1]

وليس أدلّ على ذلك من الصّورة الأدبيّة التي رسمها" الهمذاني" في رسائله لشيوع الرّغبة في الأسفار لدى الجميع، وهي قصة تفيض بخفّة الظّل وحلاوة الأسلوب وعمق الدّلالة، وكان للرّحالة العرب مجهودات كبيرة وجبّارة لاختراق الجبال واجتياز القفار والسّير في الدروب الوعرة والمجهولة، من أجل أهداف نبيلة وسامية، فقد أنفقوا أموالهم وأعمارهم من أجل الرّحلة، فقد خرجت الرّحلات العربيّة إمّا للحج أو العلم والقليل منها كان للتجارة وسوف نعلم بعد قليل أن رائد أدب الرّحلة كان تاجرا هو" سليمان السيرافي".[2]

الرّحلة هي ذلك الفن الأدبي الذي يتوفر على عناصر ذاتيّة للإمتاع، ومقومات شكلية وأسلوبية تعطيه صفة الأدبيّة، فهي تشغل مكانة مميّزة في الثقافة العربيّة، فقد تعدّدت دواعي وأسباب حضّت الناس على الرّحلة. فمنها ما كانت أسبابا معيشية وهناك ما كان من أجل التجارة والمال، وكذا من كان يسعى لتحصيل العلم والمعرفة، كما تنوّعت حوافزها ومقاصدها من علميّة ودينيّة وسياسية واجتماعيّة واقتصاديّة، كما كانت سجلا يصوّر عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم تصويرا يبث الحياة والحركة، وتختلف الرّحلة باختلاف الأغراض البشرية.[3]

فالرحالون لم يهتموا برحلاتهم إلا في القرن الثالث هجري، و استمرّ التأليف فيها إلى أن أصبحت فنا أدبيا مميزا حددت الباحثون حديثا وصنعوه ضمن أنماط السرد الذي يتّخذ

---

[1] – ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 81.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 81.

[3]– ينظر، م نفسه، ص82.

الرّحلة موضوعا لكي تعد فنا عليها أن تحمل قيمتين علمية وأدبية، فأدب الرّحلة كان ومازال تلك المدرسة التي توجز بالعبر والعلوم المختلفة[1].

[1] – ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 83.

الفصل الأول

حول نشأة أدب الرّحلة

منذ أن دبّ الإنسان على وجه المعمورة وهو يحاول اكتشاف ما يحيط به من أسرارها الغامضة قصد التعرف والسيطرة واكتشاف هذه الحياة، مع فارق الأداة العلمية واختلاف الوسيلة والإمكانات التي توفرت له على مدى التاريخ الإنساني، فتوسّع الإنسان برحلاته على مدى الدهور، ولم يعد يقصرها على سطح الكرة الأرضية فراح يتشوق رحلات أعجزت قدرته على تحقيقها بالفعل فلجأ إلى خياله وفكره يجول بهما عوالما شتّى ثم جاء إنسان القرن العشرين ليبدأ بالفعل تحقيق ما عجز عنه أسلافه.

أوّلا: حول نشأة أدب الرّحلة:

تعد رحلة آدم وحواء أقدم رحلة، وذلك بانتقالهما من بيئة إلى بيئة من الجنة إلى الأرض أمّا تدوين هذه الرّحلات والتّجوّلات أو تسجيلها فقد قام بها الإنسان بعد قرون وهو ما أشار إليه شوقي ضيف فقال:" إنّ أوّل رحلة في التّاريخ العربي الإسلامي هي رحلة فتوحات العرب الكبرى" [1] كانت لهؤلاء علاقات خارجية مع العديد من البلدان العربيّة والأوروبية، وهذا بعد أن خرجوا من جزيرتهم باتجاه المجهول.

ساهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعددة الاتجاهات في فتح بلدان كثيرة، فتوحّدت الأمم في الدين، واتصلت فيما بينها حيث يعدّ هذا عاملا بارزا في توسّع وكثرة رحلاتهم قديما وتنوّعت بتنوّع الأسباب والدّواعي، كما أشار "حسين محمد فهيم" إلى قِدم الرّحلة قائلا:" أنّها قديمة قِدم زمان الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا وإن اختلفت دوافع الرّحيل

[1]– شوقي ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1979، ص 08.

وتباينت وسائل السّفر، وتنوّعت مادة الرّحالة... كما تصف الكثير عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأحوال الشّعوب" [1] كما هو معروف فإن الرّحلة قديمة قدم زمن البشر، فكانت هناك أسباب ودوافع جعلت تلك الأخيرة تظهر منذ أمد بعيد، فهي تعبّر عن حضارات العصور وثقافاتهم المختلفة.

وما نعود إليه في أدب الرّحلة ما رُوي في كتب الأحاديث عن هجرة النبي– صلى الله عليه وسلّم– إلى المدينة المنوّرة وهجرة أصحابه عليه الصلاة والسلام إلى الحبشة، وهجرته أيضا – صلى الله عليه وسلّم– إلى الملوك والسّلاطين، لأنّ المرويات عن هذه تكشف لنا المعلومات الثقافية والجغرافية والدينية وغيرها.فقد أسهم العرب والمسلمون خلال رحلاتهم المتعددة في فتح بلدان مختلفة فكانت انطلاقتهم الأولى أو بالأحرى رحلتهم الأولى عن طريق البحر، والسّبب يرجع إلى الجزيرة العربيّة التي كانت محاطة بالبحار من ثلاث وجهات، فكانت رحلتهم من أجل التّجارة أو المغامرة أو اكتساب الخبرات والمعارف الجديدة، وإن لم تكن لها سجلاّت موثوق بها قد سجلت فيها تلك الرّحلات، فيعدّ هذا عاملا بارزا في توسيع وكثرة رحلاتهم قديما التي تنوّعت بتنوع الأسباب والدّواعي والاتجاهات.[2]

اهتم العرب أيضا بتأليف رحلاتهم منذ القرن الثالث هجري الموافق للقرن التاسع ميلادي فاتصفت مؤلفاتهم بالصيغة الجغرافية والتاريخية، تميّز العرب بهذه الأخيرة وأهم من يمثلهم " ابن خرداذية" من خلال كتابه« المسالك والممالك»ويليه في التأليف للرّحلات جماعة

[1]– حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، الكويت، د/ ط، 1989، ص 15.

[2]– ينظر، سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر، د/ ط 2009، ص ص39– 41.

من المعاصرين أمثال "أحمد بن جعفر اليعقوبي" في كتابه« البلدان» والمسعودي في كتابه« مروج الذهب ومعادن الجوهر »ثم "ابن حوقل" في كتابه« صورة الأرض»، ويؤلّف بعدهما "محمّد المقداسي" كتابه« أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم»، واعتبره أكثر الباحثين والمستثمرين خاصة من أكبر الجغرافيين العرب آنذاك، حيث يدخل في صفّ الرّحلات الجغرافية عدد كبير من المؤلّفات التي تناولها المشارقة والمغاربة في حقبات زمنيّة مختلفة.[1]

وأهم رحلتين جغرافيتين هما:«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» لأبي عبد الله محمد الإدريسي(493هـ- 560هـ، 1100م-1065م) بالإضافةإلى مصنفات أخرى له مثل« روض الفرج ونزهة المهج»،ويعدّ الإدريسي أكبر جغرافي في بلاد المغرب والأندلس.[2]

عرفت الرّحلة العربيّة ابتداء من أواخر القرن السادس هجري تحوّلا في اتجاه الكتابة من خلال جغرافيّة البلدان وآثارها الحضارية، ثم الاهتمام بسرد يوميات الرّحالة وذكر لكثير من خصوصياته من مشاعره وأفكاره وانتقاداته إضافة إلى التحوّل في الطّابع الأسلوبي للكتابة إذ أصبح أسلوبا سرديّا قصصيّا يتّسم بالبساطة والسّلاسة، وبهذا انتقلت الرّحلة من الطّابع العلمي إلى الطّابع الأدبي.[3]

وأهم من مثّل الاتجاه الأدبي أحسن تمثيل الرّحالة الأندلسي "محمد بن جبير" في رحلته المسماة« تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار» التي وصفها "حسني محمود حسين":" إنّ هذه

---

[1]- ينظر ، سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص 41.

[2]- ينظر، خضر موسى محمد حمود، أدب الرّحلات وأشهر أعلام العرب ونتاجهم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1 2011، ص 78.

[3]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرّحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 42- 43.

الرّحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ أو جغرافي، أو أديب أراد أن يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي، وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصّياغة الأدبيّة إلى درجة عالية"[1] تلك الرّحلة تحتوي على معلومات مهمّة، لا يمكن الاستغناء عنها كونها تمثل العمود الفقري لأي دارس يهتم بدراسة تلك الفترة من حياة الشرق الإسلامي.

حيث أن رّحلة "ابن جبير" جلبت في جعبتها معلومات لا تعدّ ولا تحصى، كما أنّه التزم بها الجغرافي والمؤرّخ والأديب الذي يريد أن يعرف أحوال الشرق الإسلامي في هذه الفترة ومن الذين استفادوا من رحلته بموضوعها وصياغتها "علي بن سعيد الأندلسي" مؤلّف كتاب « المشرق في حلي المشرق»و"محمد العبداري" صاحب الرّحلة المغربية، و"ابن رشيد السّبتي الأندلسي" مؤلّف« مرء العيبة فيما جمع بطول الغيبة».[2]

والملاحظ لحركة التّأليف في الرّحلات العربيّة إضافة إلى تحوّل منهج الكتابة وأسلوبه انتقال التّأليف ابتداء من القرن السادس هجري من المشارقة والمغاربة بتفوّقهم في أدب الرّحلات واهتمّوا في مؤلّفاتهم بتدوين أخبار الأدباء والعلماء في كل قطر زاروه، ولم يعد المهتمون بطلب العلم يرحلون إلى مصر والشام والعراق والحجاز كما كانوا قديما بل أصبحوا يتوجّهون إلى إيطاليا فرنسا وأمريكا.[3]

والظاهر من خلال رحلات العرب والمسلمين المتنوّعة نحو دول الغرب خلال العصر الحديث، حيث كانت هناك عدّة مؤلّفات وصف فيها الرّحالون العرب انطباعاتهم وآرائهم، كما نقلوا

---

[1]– سميرة أنساعد،(الرّحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص 44.

[2]– ينظر، محمد مصطفى زيادة، مقدمة لرحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 06.

[3]– ينظر،سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 44-45.

ما طالعوه من كتب الغربيين الفكرية والأدبيّة،ما جعل هذه المؤلّفات تلعب دورا فعّالا في التعريف بالحضارة الغربية وإثراء الحضارة العربيّة من خلال الأفكار والمبادئ.[1]

ومن أشهر الرّحلات التي مثّلت هذا الاتجاه رحلة "رفاعة الطّهطاوي" *(1801- 1873)[2]، كما تنوّعت الرّحلات في القرن العشرين، وتعدّدت في الاتجاهات والأهداف، نذكر منها رحلة« محمد اللبيب البتنوني» الحجازية، و« الشيخ محمد رشيد رضا» و« محمد الخضر حسين، أمين ريحاني».[3]

2- أهميّة أدب الرّحلة

لكل عمل قيمة سواء كان أدبيا أو علميا ، وبفضل تلك الأهميّة يسمو إلى مقام النّجاح والأدبيّة، وتكمن تلك الفائدة فيما يقدّمه المؤلّف للقارئ من معلومات وثقافة واسعة، والمعروف عن الرّحلات أنّها فن أدبي، مما يعني أنّ له أهميّة كبيرة في تنميّة درجة الفكر والثقافة لدى الباحث والقارئ والمؤرخ وغيرهم، وبالبحث المتواصل والطّويل نلخّص تلك الأهمية في النقاط الآتية:

---

[1]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص 46.

[2]* ولد رفاعة الطهطاوي في طهطا سنة1801 وهي السنة التي جرت فيها الحملة الفرنسية على مصر، توفي سنة 1873 في أواخر العهد الخديوي إسماعيل، أي أنه عاصر الأحداث التي تحدث في مصر خلال القرن 19، سهل التعبير أوّل من كتب نثرا وشعرا في معنى الوطن.

الطهطاوي رفاعة رافع، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، موفم للنشر، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، د ط، الجزائر « رغاية» 1991، ص 192.

[3]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 46- 48.

الرّحلة عمل أدبي يبيّن المستوى الفكري لدى الكاتب وبذلك يضيء طرق القارئ المواظب على المطالعة، والكتابة خاصة في ميدان القصّة القصيرة، كما أنّها تصوّر لنا بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه وتصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان.[1]

وتبرز قيمة الرّحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة النّاس اليومية في المجتمع، لذا كان لها قيمة علمية من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره، وتأمّلاته عن نفسه وعن الآخرين.[2]

تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهمّ المؤرّخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد، ومؤرّخي الآداب والأديان والأساطير كما جاء عند الدكتور محمود حسين« الرّحلات منابع نثرية لمختلف العلوم»[3]، فهي تعتبر ذات قيمة معرفيّة مهمّة كونها تعبّر عن التراث إن صحّ التعبير، أو تعبّر عن مصادر ثريّة ومنابع مختلفة لمختلف العلوم والحضارات.

كما تعتبر سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، حيث يقوم الرّحالة أثناء رحلته بملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة، وينقلها في رحلته كما أشار إليها حسني محمود حسين:" ولا شك أنّ الرّحالين يختلفون فيما بينهم في دقّة ملاحظاتهم، وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم وفي تنوّع فهمهم

---

[1]– ينظر، حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص 19.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص ص 116– 117.

[3]– حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983، ص 06.

للأمور تحت الظروف المغايرة التي يخضعون لها"،[1] لكل من الرّحالة سواء من العرب أو من الجزائر أسلوبه في كتابة رحلاته، كما يختلفون في درجة الاهتمام والصدق والأمانة، فكل واحد منهم يعبّر بطريقته الخاصة وحسب فهمه للأمور، كما أنّها المبيّنة لفكر الإنسان وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي عبر التّاريخ.

أمّا من ناحية القيمة الأدبيّة فتتجلّى فيما تعرض فيه مواردها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، أي إبراز ذاتيّة المؤلّف وشخصيّته، وذكر ما يتعرّض له من مواقف، وتتجلّى الفنيّة في الأساليب المتميّزة التي ترتفع بالرّحلة إلى أعلى سلّم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الفن الأدبي الحقيقي، وهنا نلاحظ مدى قدرة المؤلّف على إبراز ذاتيّته من خلال المواقف التي يتعرّض إليها.[2]

يبدو أنّ كل رحلة لا تخلو من هاتين القيمتين لكن بنسب متفاوتة، غير أن هذا لا يعني أنّ أهميّة الرّحلات متوقّفة عند هذه النقاط، بل يتجاوز ذلك ولابد ألّا نغفل عن الأهمية التي يجنيها المؤلّف من خلال رحلاته المتعدّدة، والمتمثلة في اكتساب التجربة والدرجة في مجال التأليف والتنويع في مجال الأسلوب، وفي مجال التعبير الأدبي للثقافة الشخصيّة ما نلحظه هو أن الرّحلة لها العديد من القيم، لكن لا نهمل الجانب الذاتي للمؤلف في اكتساب الخبرة والتّجربة والقدرة على التّأليف من ناحية الأسلوب والتّعبير.[3]

---

[1]–حسني محمود حسين، المرجع السابق ، ص 06.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 08.

[3]– ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص 39.

2-1- مراحل أدب الرّحلة:

مرّ أدب الرّحلة بثلاث عصور تمثّلت في العصر الوسيط، عصر بداية النهضة العربيّة والعصر الحديث.

2-1-1-العصر الوسيط(من القرن الثالث الهجري- القرن التاسع الميلادي إلى بداية النهضة)

هو عصر النضج والازدهار بشكل عام ولاسيما في أدب الرّحلات العربي وإسهامات المسلمين في هذا العصر في حقله أكثر من غيرهم على الإطلاق.[1]

يمكن لنا أن نحصي أشهر المؤلفات في أدب الرّحلات العربيّة حسب المراحل الزمنيّة الآتية:

2-1-1-1- القرن الثالث الهجري:(التاسع الميلادي)

اصطبغت مؤلّفاتهم بالصبغة الجغرافية والتاريخية وأهم من يمثّلهم اللغوي المؤرخ « هشام الكلبي» الذي توفي حوالي 206هـ، ومن كتبه« الإقليم والبلدان الكبيرة والبلدان الصغيرة وأنساب البلدان».

« سلمان التاجر وسلسلة التواريخ» حيث قام برحلات عبر المحيط الهندي والمحيط الهادي إلى بلاد الصين رجاء أن ينقل عروض الهند والصين إلى البلاد العربيّة،نجد من بينهم أيضا

[1]- ينظر، زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، د/ ط، 1981 ص ص 20،21.

"الجاحظ" في كتابه« الأمصار وعجائب البلدان» ورسالة« التبصير بالتجارة» تدل على ازدهار التّجارة وتوفير المعلومات الجغرافية والاقتصادية لأصحابها.[1]

اصطبغت مؤلّفات القرن الثالث الهجري بالصبغة الجغرافية وكذا التاريخية، وظهور العديد من المؤلّفين الذين بزغوا في هذا المجال وكل هذا يدل على تطوّر وازدهار الرّحلة من عنصر إلى آخر حيث لم تقتصر رحلات العرب على البحر فحسب بل قاموا برحلات بريّة ومن الشخصيات التي برزت «سلاّم الترجمان»" إنّ الخليفة العباس الوارث بالله قد أرسله في بعثة يشاهد السدّ الذي شيّده الإسكندر في ديار يأجوج ومأجوج ويتفقّده" [2]كانت الرّحلات ذات طابع مختلف يختلف من رحّالة إلى آخر، فكانت هناك رحلات بحرية وأخرى برّية تميّزت كلها بأسلوبها وتعبيرها وإبداعها المختلف.

2-1-1-2- القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي)

يمثل هذا العصر الاضمحلال النهائي للخلافة الإسلامية، وعصر ازدهار الحضارة والنهضة الإسلامية مما زاد في عدد الرّحلات وظهور عدّة خرائط يتدلّل بها الرّحالة أثناء رحلاتهم للوصول إلى الآفاق البعيدة، ومن أهم رحالة هذا القرن:« مروج الذهب ومعادن الجوهر»للمسعودي(ت 346هـ)،« رحلة ابن فضلان»لأحمد بن فضلان،« عجائب البلدان البلدان» لمسعر بن مهلهل،« صور الأقاليم»لأحمد بن سهل أبو زيد البلخي.[3]

---

[1]– ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص 71، 72.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 70، 71.

[3]– ينظر، م نفسه، ص ص ص 82، 83، 84.

2-1-1-3- القرن الخامس الهجري:(الحادي عشر ميلادي)

تفتح هذا القرن على رحلات مهمة أهمها« تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل

أو مرذوله» للبيروني(ت 440هـ) في منتصف القرن الخامس الهجري حيث شهد أدب الرّحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد حيث احتلّت هذه الصفحة بعض الرّحالة والجغرافيين من المغرب الإسلامي، إذ شرعوا بالدخول إلى هذا العالم منهم أحمد بن عمر العذري بكتابه«نظام المرجان»في المسالك والممالك وأكبر رحالة في هذا القرن هو: أبو عبيد عبد الله الباري (487هـ) وله كتابان« المسالك والممالك» و« معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع» ويعتبر هذا الكتاب أول معجم جغرافي.[1]

2-1-1-4- القرن السادس الهجري:(الثاني عشر ميلادي)

كاد هذا القرن أن ينافس القرن الرابع من حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرّحالة عموما، وإن كان القرن الرابع تميّز بعدد كبير من الرّحالة« فقد تميّز القرن السادس بأضعاف هؤلاء الرّحالة وأهمية الآثار التي خلّفوها والمناهج التي اتبعوها في جمع المادّة وتدوين ملاحظاتهم على كل ما وقعت أنظارهم من مشاهد تخدم أدب الرّحلة».[2]

تطوّر القرن السادس من حيث أهمية الرّحلة والآثار التي تركها هؤلاء الرّحالة في كتاباتهم الأدبيّة والتي لازالت راسخة إلى يومنا هذا.

---

[1]- ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 74.

[2]- المرجع نفسه، ص 75.

ومن أشهر الرّحلات العربيّة في هذه الحقبة من الزمن« تحفة الألباب ونخبة الأعجاب»لأبي حامد الغرناطي،و« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»للشريف الإدريسي(ت560هـ) واضع الخرائط لجميع أنحاء العالم، ونجد أيضا« ترتيب الرّحلات» "لأبي بكر العربي" (ت 543هـ) والذي كان أوّل من استخدم لفظ "الرّحلة" ويعتبر أوّل من أسّس أدب الرّحلات بالصّور الفنية المأصولة وهناك أيضا رحلة« ابن جبير» الحسن محمد ابن أحمد بن جبير الكتاني (ت 614هـ)الذي اكتملت على يده ملامح أساسية لأدب الرّحلة العربي.[1]

2-1-1-5- القرن السابع الهجري:(الثالث عشر ميلادي)

مع بداية القرن الثالث عشر ميلادي ظهرت إنجازات أخرى من قبل رحالة آخرين، منها معجم البلدان الذي يضم سبعة مجلّدات ضخمة لـ" ياقوت الحموي"(ت 626هـ) إذ لا يزال من أهم المعاجم الجغرافية، وفي هذا القرن صدرت أيضا« عجائب»لزكرياء القزويني(ت 682هـ).[2]

2-1-1-6- القرن الثامن الهجري(الرابع عشر ميلادي)

من أهم الكتابات في هذا القرن« مختصر تاريخ البشر» و« تقويم البلدان»لابن الفداء (ت 732هـ) وقد حظي هذان الكتابان باهتمام خاص لدى مؤرخي العالم في أوروبا، و« تحفة النظائر في غرائب الأمصار» و« عجائب الأسفار»لابن بطوطة، وتعد هذه الرّحلة من أشهر ما قام به الرحالة في هذا القرن، ويعد كتابه أكثر كتب الرحالة إمتاعا وجاذبية فضلا عن احتوائه

[1]- ينظر، فؤاد قنديل المرجع السابق، ص 75.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص ص 77، 78.

كمًّا هائلا من المادة الأدبيّة والجغرافية لأنّه أنفق من حياته ما يقارب 26 سنة في التجوال والتّرحال.[1]

برز في هذه المرحلة« ابن خلدون»(ت 808هـ) واضع علم الاجتماع له كتاب في الرّحلة بعنوان« التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا»الذي ركّز فيه على استعراض سيرة حياته.[2]

2-1-2- القرن التاسع للهجرة إلى بداية النهضة العربيّة(عصر المغازاة)

يطلق على هذه الحقبة من الزمن بعصر المغازاة في مجال أدب الرّحلة، العصر الذي شاع فيه البحث في هذا الفن العريق على وجه الإطلاق، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثامن من الهجرة ومرجعه إلى أنّ أوضاع العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلّها كانت على وشك التدمير والضياع، أما من كانت له البدايات الأولى بالرّحلات إلى الأمصار والبلدان المجاورة في هذه الحالة« عبد الغني النابلسي»(ت 1143هـ) من فقهاء دمشق الحنيفة، إذ كان له الفضل الكبير في دراسة النظم والنثر إضافة إلى علوم الدين والقرآن والسنّة النبويّة.

كما نجد مؤلفات عديدة في هذه المجالات خاصة فيما يتعلّق بأدب الرّحلة نجد له كتاب بعنوان« الرّحلة الحجازية».[3]

---

[1]- ينظر، فؤاد قنديل ،المرجع السابق، ص 78.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 79.

[3] - ينظر، محمد رضا الرحمن القاسي، الرّحلة وأدبها في اللغة العربية، من مجلة الداعي الشهير، الصادرة عن دار العلوم 1434هـ،ع 6-7، ص 15.

2-1-3- العصر الحديث: من بداية النهضة العربيّة إلى العصر المعاصر

حيث عادت الرّحلات إلى البزوغ والازدهار في ثوب جديد مختلف، مقارنة مع مطلع القرن الثالث عشر للهجري فقد حدث اتصال العالمين الغربي والعربي من جديد بعد أخذت البعثات العلميّة تتزايد من قِبل العرب إلى العالم الغربي، ومن ذلك توجهت رحلات العرب إلى أوروبا بشكل خاص وعنيت كتبهم بوصف مناظر بلدان أوروبا الطبيعية ومشاكل ذلك، ثمّ أعار العرب الاهتمام برحلات نحو الولايات المتحدة الأمريكية بشطريها ومن جانب آخر ألقى بعض الرّحالة العرب محطاتهم بالتجوال وسط إفريقيا وجنوبها، وقد اعتادوا التطويف في الهند والصين حتى لم يتركوا أي منطقة إلا وقد ارتحلوا إليها ووصفوها وكان أول من قام بتأدية الرّحلة في العصر الحديث « محمد عمر التونسي» سنة 1903 الذي ألّف كتابا في رحلته بعنوان«تشحيذ الأذهان» كما اشتهر في هذه المرحلة« رفاعة الطّهطاوي»« تخليص الإبريز في تلخيص باريز».[1]

ومن أشهر الرّحالة في هذا العصر: محمد فريد الذي سافر إلى تونس والجزائر وفرنسا بكتابه« من مصر إلى مصر»« السفر إلى المؤتمر» لأحمد زكي باشا،« الواسطة في أخبار صالحة» لأحمد فارس الشدياق،« الرّحلة إلى ألمانيا» لـ حسن توفيق.[2]

[1]- ينظر، محمد رضا الرحمن القاسي، المرجع السابق، ص ص 15، 16.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص ص 16، 17.

3- دوافع الرّحلة: أغراضها- أنواعها

إن من أهم الأسباب والدوافع التي مهّدت للرّحلة والرّحالة الطريق لارتياد العلم هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا، وهذا ما أدّى بالمسلمين إلى الترحال والسّفر حيث تختلف الدوافع من شخص لآخر ومن قوم لآخر إلا أنّها لا تخرج في الأغلب على أن تكون كالآتي:

3-1- دوافع دينية:

وتظهر في الرّحلات التي كانت تقام إلى الحج فكان يجني من رحلته فضلا عن تأدية الفريضة فوائد جمّة منها التوبة وتطهير النفوس من الذنوب والمعاصي أملا في المغفرة والالتقاء بمعظم العلماء وفقهاء العالم الإسلامي، ومن ثمّة التجارة التي يجني من ورائها النفع والكسب المادي ومن العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام هو جمع الحديث من أفواه الرّواة فكانت مكة ملتقى المسلمين وموقع التعارف وتبادل الأفكار والمنافع.[1]

3-2- دوافع تجارية واقتصادية:

التجارة أمر يقتضي القيام بالرّحلة والسفر وكان التجار يضربون في أراضي جديدة عن طريق القوافل وعن طريق البحر[2]، وكذلك من أجل تبادل السلع وفتح أسواق جديدة لمنتجات محلّية

---

[1] - ينظر، أحمد رمضان أحمد، الرّحلة والرّحالة المسلمون، دار البيان العربي،جدّة، د/ ط، د/ ت، ص ص 11، 13.

[2]- ينظر، سيّد حامد النّساج، المرجع السابق، ص 11.

أو لجلب سلع، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء انخفاض الأسعار واليسر والوفرة أو العمل.[1]

استمرّت الرّحلات التّجارية التي اشتهر بها العرب، وازدهرت تلك الأخيرة نتيجة لاتساع الدّولة وسهولة التنقل، وساعدتهم على الرّحلات التّجارية وحدة الثّقافة والدين في أقطار العالم الإسلامي.[2]

3-3- دوافع علميّة أو تعليميّة:

فقد كان من أهم بواعث هذه الرّحلات طلب العلم الذي طغى على نمط الرّحلة، فالعلم يعتبر عاملا أساسيا لابدّ منه نتيجة أهميّته ومدى مساهمته في تطوير ثقافات الأفراد كما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلّم–« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[3]. فالعلم مفروض على كل فرد مسلم، ولولا هذا الأخير لما ازدهرت الأمم.

وقد روى البخاري في القرن الثالث الهجري أنّ« جابر عبد الله» رحل مسيرة شهر إلى« عبد الله بن أنيس» في طلب حديث واحد، وهناك نوع آخر من الرّحلات العلميّة هي تلك التي سعت للوصول إلى الواردة بالقرآن مثل الرّحلات التي تمّت في عهد الخليفة العباسي الواثق

---

[1]– ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 20.

[2]– ينظر، محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي للنشر، الرياض، ط 2، 1996 ص 178.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 176، 177.

(227هـ-232هـ) وذلك بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والهندسة.[1]

3-4- الدوافع السياسية:

تتعلق بالأوضاع السياسية وتلك الوفود والسفارات التي يبعث بها هؤلاء الملوك والحكام إلى ملوك الدّول الأخرى، بهدف توطيد العلاقات والتبادل التجاري، ومناقشة شؤون الحرب أو السلام تمهيدا لفتح أو غزو، والمهمّات السياسية التي يروح فيها كبار القوم من علماء وأدباء بمن كان يصحبهم ومساعدين والتي تقدّم معلومات قيّمة عن البلاد التي زارها السفراء وعن الأحوال الدّولية في ذلك العهد وعن التطوّرات التي تمرّ بها الأمم.[2]

3-5- الدوافع الثقافية:

وهي رحلة قصد الاستجمام والتجوال أي أنّ هناك من الرّحالة ما كان يدفعهم إلى الآفاق شوق شديد إلى اكتشاف المجهول والدخول في بلاد بعيدة غير معروفة الأحوال واللغات[3]، وتكون بسبب حب التنقل لتغيير الأجواء والمناظر، وخوض مغامرات مهمة وجديدة ومعرفة الجديد

---

[1]- ينظر فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 21.

[2]- ينظر، عبد الهادي النازي، ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار العربية للطباعة والنشر، الكويت، ط 1، 2002، ص 95.

[3]- ينظر، عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، الكويت، ط 1 2005، ص 81.

من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة، وكذلك للتعرّف على المعالم الشّهيرة كالآثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب.[1]

3-6- الدوافع الصحيّة:

كالسفر للعلاج أو الاستشفاء وإراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر والاكتئاب كالارتحال إلى المناطق الريفية والمناطق الهادئة ونحوهما، وقد يكون هربا من وباء طاعون أو تلوّث.[2]

وأيّا ما كان السّبب من الرّحلة فأنّها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري، يأتي بثمار نافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرّحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرّحلة هي ما كانت عليه قبلها، ومن هنا فإنّ الرّحلة تصبح اليد التي تمتد لتقرّب شعوبا تناءت عن شعوب، وأقوام عن أقوام تفصل بينهم البحار والقفار لقوله تعالى«﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾».[3]

ويمكن أن نخلص إلى أهم دوافع وأسباب قيام الرّحلة على النحو التالي:

- إفادة القرّاء بمعلومات عن المعارف والعلوم والتعرّف على الأعلام ومؤلّفاتهم.
- التعريف بالبلدان، ووصف الطرق والمسالك.
- ذكر أخبار الأمم والأقوام، والجماعات البشرية ماضيا وحاضرا.

---

[1]- ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

[2]- ينظر ، المرجع نفسه، ص 20.

[3]- سورة الحجرات، الآية 13.

- التأريخ لأحداث متنوّعة، وتقديم معلومات موجزة أو مفصّلة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- دعوة الرّحالة إلى التغيير والتفريج في أحوالهم.
- والأهم رغبة الرّحالة في نيل الثواب والمغفرة والأجر العظيم من الله عزّ وجل.[1]

3-2- أنواع الرّحلات:

كانت الرّحلة عنصرا قويا في الحياة لذا تعدّدت أنواعها من خلال الأغراض والدوافع والأسباب والغايات التي كانت تقام من أجلها، فنجد أنّ الباحثين اختلفوا في تصنيفاتهم لها،فعيّن صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام وهي: رحلة الحج، رحلة الحرب ورحلة السفارة.

1- **رحلة الحج:** وكان الغرض منها التّرحال والسفر بغرض كسب القوت والمعيشة والتعرف على العادات والتقاليد للأمم والبلدان المجاورة.

2-**رحلة الحرب:** وظفتها النظم الحاكمة في المدن القديمة وكانت في خدمة العمل العسكري وقد جهّزت هذه الرّحلة وأعدّت لكي تطارد العدوان وتردعه أو تحبطه، ولكي تدعم الأمن وتؤمنه.[2]

---

[1]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 38، 39.

[2]- ينظر، صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف الإسكندرية، ط 2، 1999، ص 63.

3- **رحلة السفارة:** طبّقتها النظم الحاكمة لكي تنقل الرسائل من مكان لآخر بعناية فائقة،وكانت في بعض الأحيان تنقل الرسائل المكتوبة إلى رسائل شفوية ، وهي تعليمات من الحاكم إلى عماله في الإقليم، كما كانت تنتقل هذه الرسائل من حاكم في دولة ما إلى حاكم في دولة أخرى.[1]

وبعد ظهور الإسلام أضاف ثلاث أنواع أخرى وهي رحلة الحج ورحلات أخرى كرحلة طلب العلم ورحلة التجوال والطّواف، وتمثّلت هذه الإضافة في تلبية حاجيات الناس التي كانت لها أهميّة في استمرار الحياة:

1- رحلة الحج: تغيّر الغرض من السّفر والتجوال قبل الإسلام إلى اعتباره فريضة دينية فالحج ركن من أركان الإسلام وكان غرض هذه الرّحلة أداء الفريضة وحج بيت الله الحرام وهذا مصداقا لقوله تعالى:«﴿ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ **غَنِي** عَنِ الْعَالَمِينَ﴾».[2]

ولهذا كانت الرّحلة أمرا ضروريا لأداء الفريضة.[3]

2- رحلة طلب العلم: تعدّدت بتعدّد أنواعها فكان القصد منها أو الغرض أداء المناسك أو الفريضة أو الجهاد أو الرباط في سبيل الله، والسفر بقصد العبرة.[4]

---

[1]- ينظر ، صلاح الدين علي الشامي، المرجع السابق، ص 67.

[2]- سورة آل عمران، الآية 97.

[3]- ينظر، عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرّحلة في الإسلام(أنواعها وآدابها(، مكتبة الدار العربية للكتاب: القاهرة، ط 1 1992، ص 25.

[4]-ينظر، المرجع نفسه، ص 26.

3- **رحلة التجوال والطّواف:** فلا يمكن أن تستقل بذاتها لأنّها مضمنة في الرّحلات السابقة جميعا فقد يكون هذا المتجوّل محاربا أو تاجرا أو عالما يخرج من أجل التجوال كهدف، كان خروجه استجابة لدافع ذاتي.

ولكن يمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا وهي: الرّحلات العلمية، الرّحلات الدينيّة، الرّحلات الاقتصادية والرّحلات الرّسمية.[1]

1- الرّحلات العلميةّ:

إنّ أولى القصص التي تحدّثت عن الرّحلة العلمية جاءت في القرآن الكريم، عن رحلة موسى عليه السّلام، ولقائه الرّجل الصالح الخضر عليه السّلام واصطحابه لغرض التّعلّم قال تعالى«﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾».[2]

ومن أشهر أنواع الرّحلات وأكثرها شيوعا كما جاء في كتاب الرّحلات للشيخ محمد الخضر حسين(ت 1158) أنّ الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرّقي إلاّ نبّه عليها، وحثّ على العمل بها، وهذا شأنه في الرّحلة فقد دعا إليها لأغراض سامية منها طلب العلم والتفقه في الدّين ومن الأغراض التي عالجتها تلك الرّحلات هي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية والحاضرة والتّخلّص من الضّلال إلى الإقامة في دار العدل والهداية.[3]

---

[1]- ينظر، ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص 34.

[2]- سورة الكهف، الآية 60.

[3]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص 24.

2- الرّحلات الدينية: رحلات طلب النّجاة

ومن أشهر مقاصدها الهجرة أي الخروج من دائرة الحرب إلى دائرة السّلام والخروج من أرض البدعة أو الأرض التي غاب عليها الحرام طلبا للحلال الذي غاب وكاد ينعدم على أرض البشريّة وأصبح الأفراد يعيشون تحت قانون الغاب والفرار من الإيذاية في البدن أو الحال: فقد أذِن الله عزّ وجلّ لعباده بالخروج والفرار لتخليص النّفس من المحذور.[1]

ومن أشهر رحلات هذا النّوع رحلات الحج والعمرة وكان للحكام والأمراء الفضل في تسيير الرّحلة إلى الحجاز، فكان الدافع من وراء هذه الرّحلات هو أداء الفريضة إضافة إلى زيارة مواقع أخرى منها: زيارة قبر الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- المدينة المنوّرة وزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء الصالحين[2].

3- الرّحلات الاقتصادية:

كانت التّجارة عند العرب منذ القديم دافعا لإنجاز الرّحلة خاصة بعدما تطوّرت الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي إذ يتعدّى نطاق التجار إلى دول أخرى. وقد يرتحل الإنسان لغرض العمل وممارسة بعض المهن، أو لغرض إعانات من دول شقيقة، والتخلّص من ديون عالقة وغيرها من الأسباب المرتبطة بطرق الكسب الاقتصادي[3]،وكسب القوت والسّفر لغرض

[1]- ينظر، عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، المرجع السابق، ص 24.

[2] - ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 27، 28.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 29.

التجارة لقوله تعالى:«﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾».[1]

4- الرّحلات الرّسميّة:

كان لاتساع رقعة الدّولة الإسلامية أثر في ظهور هذا النّوع المتميّز من الرّحلة من قبل الحكّام والأمراء" فضمّت كل ممن الرّحلات التّكلّفيّة والإداريّة والسّفاريّة وهي خاصة بدوافع عديدة منها:

* تفقّد أمر الرّعيّة أو تلبية طلب الحكّام في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة.

*تعدّ الرّحلة حلقة رائعة ومثيرة من تلك المنظومة الإلهية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف الذات الإنسانيّة.

* الرّحلة في سرّ وحدة البشر.

فالله سبحانه وتعالى عندما أنزل آدم وحوّاء إلى الأرض لم ينزلهما منزلا واحدا ليبحث كل منهما عن الآخر ويلتقيا في آخر المطاف، والشعوب لم تختلف في موضع واحد، لكن الله فرّقها وبثّ بينهما المسافات وغرس في نفوس الجميع فطرة السّعي للتّعارف واللقاء.[2]

[1]- سورة البقرة، الآية 198.

[2]- ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 24.

ثانيا: أدب الرّحلة في العالم العربي:

1- مشاهير الرّحالة العرب المسلمين:

دخل الرّحالة العرب مغامرة اكتشاف العالم القديم وتأثّرت مقاصدهم بطبيعة علاقاتهم بالحضارات التي زاروها، لهذا طغى على مدوّناتهم مزيج من العداء والتنافس وأحيانا الإعجاب والاهتمام بالجوانب العسكرية والسياسية والدينية، ولقد برز في العصر العربي والإسلامي عدد من الرّحالة الذين أغنونا بكثير من المعلومات التي توصّلوا إليها من خلال ترحالهم وأسفارهم وهم كثيرون لعلّنا نحصي بعضا منهم وهم كالآتي[1]:

1-1-الإصطخري:

«أبو القاسم محمد إبراهيم الكرخي»، من أهل القرن الرابع الهجري، الذي طاف ببلاد الإسلام، وجمع معلومات جغرافية دقيقة ووافية، رأس مدرسة البلدان ومسالك المسلمين وقد ألّف كتابه(المسالك والممالك) فيما بين سنتي 321- 318هـ/ 930-933م، وهو أوّل من رسم خريطة للعالم الإسلامي على أهل الرّحلة والمشاهدة الشّخصيّة، وكل المسالكين المسلمين الذين جاءوا وتأثّروا به ونقلوا عنه ونقلوا من خرائطه للإدريسي الذي اعتمد عليه ونقل عنه دون أن يتأثر باليونانيين في مذاهب الفلكية، والربط بين خطوط الطول والعرض والمواقع

[1]- ينظر، حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تح: دراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، د/ط، 1980، ص ص 25- 26.

والمواضيع، كما وضع الطريقة العلميّة التي سارت عليها مدرسة المسالكين في رسم خريطتها وقد قسّم إقليم عالم الإسلام إلى عشرين إقليما، اختصّ كل واحد منها بخريطة».[1]

1-2-ابن جبير: 540هـ،1145م/ 1229م:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أصل أسرته من بلدة شاطبة، ولد ببلنسية سنة(540هـ- 1145م)، عني أبوه بتربيته، فدرس العلوم الدينيّة واللغوية ولم يلبث أن تيقّضت فيه مواهبه الأدبيّة فأخذ في قرض الشعر، ولمع اسمه فألحقه حاكم غرناطة "أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن" بكتاب ديوانه.[2]

"ابن جبير" أديب وشاعر وفقيه وأشهر رحالة القرن السادس الهجري، قام بثلاث رحلات كانت جميعها بغرض الحج إلى بيت الله الحرام لكنه لا يعود بعد أداء الفريضة مباشرة، مع أنّه لم يدوّن غير رحلته الأولى فقط، وقد بدت من خلالها شخصيّته التقيّة وصدقه وأدبه الجم في وصف ما تقع عليه عيناه.[3]إذ يرى المؤرخون أنّ" ابن جبير" كان يسجّل ما يشاهده في أوراق منفصلة على شكل مذكرات يوميّة، فنجد مع وصف كل بلدة جزيرة تاريخ الزيارة أو المشاهد باليوم والشهر.[4]

---

[1]- ينظر، حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 26.

[2]- ينظر، شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 96.

[3]- ينظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2001، ص 03.

[4]- ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 386.

كما تناولنا في الجزء الأخير من رحلته إلى صقليّة بوصف رائع وأخبارها بشكل يجعل هذا القسم مصدرا رئيسيا من مصادر تاريخ صقليّة في زمن "ويليام الثاني"، خاصة فيما يتعلّق بعلاقة السكان المسلمين في الجزيرة العربيّة بحكّامها الأوروبيين.[1]

1-3-ابن بطوطة: 803هـ-776هـ/ 1304- 1375م

ابن بطوطة من مواليد طنجة ولد سنة 803هـ/ 1304م، وفيها درس العلوم الشرعية، فلمّا بدأ برحلاته كان قد أصبح ممن يشار إليهم بالبيان في هذه العلوم، وقد اجتاز المغرب والجزائر وتونس وليبيا إلى مصر، وهبط بالإسكندرية.[2]

يعتبر ابن بطوطة من أشهر الرّحالة العرب على الإطلاق إذ يختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته في 770هـ أو 776هـ أو 779هـ.[3]

تميّز أسلوب ابن بطوطة بمجموعة من السمات نذكر منها:

* تميّز أسلوب الرّحلة بالبساطة وانسيابية السرد إذ تخلو عباراته من السّجع والجناس وأشكال البديع والبيان إلا في المقدمة.

* اعتمد بشكل مطلق على ذاكرته الممتازة شأنه شأن جميع المثقفين في عصره، وهذا ما دفعه إلى الخلط في ترتيب المدن.

---

[1]-ينظر، ا، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص 168، 169.

[2]- ينظر، شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرّحلة: نسيج الواقع والخيال، بيروت، د ط، 2003 ص ص 34-40.

[3]-ينظر، ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة: دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2001، ص 03.

* أخذ دروسا في العلوم الفقهية حتى بلغ الواحد والعشرين فشدّ عندئذ الرّحال نحو مكّة بداعي الحج.

* يسعى" ابن بطوطة" إلى ذكر الأشخاص الذين يعرفهم بما فيهم رجال الدين الذين شغلوا مساحة كبيرة في ذاكرته وكأنه يرى في ذكرهم تبركا وراحة نفسيّة، فيروي أحاديثهم ويطلب الرحمة لهم.

* تعد رحلة" ابن بطوطة" بمثابة سيرة شخصيّة له إلى جانب الوقوف على حقائق علمية ومعلومات تقنيّة تفيد التعرّف على حياته، فإنّ هذه الرّحلة تتميّز بالقدر الكبير من الفردية والانطباعية التي تعكس حقائق شخصيّة صاحبها.[1]

1-4- الرّحّالة المسعودي:

يعدّ المسعودي من أشهر الرّحّالين العرب في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي فقد كانت حياته رحيلا دائما بين بلدان متعدّدة تجاوزت نصف القرن زمنا، هو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي من أحفاد الصّحابي الجليل« عبد الله بن مسعود»، وُلِد المسعودي ببغداد لكننا لا نعرف سنة مولده.[2]

[1]- ينظر، نقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب العلمي ودار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، د ت ص 187.

[2]- ينظر، عمرو عبد العزيز، أشهر الرحلات العربية، دار طيبة للطباعة، مصر، الجيزة، ط 1، 2010، ص 38.

أقبل على السياحة لطلب العلم، وخرج إلى رحلته ولم يبلغ العشرين، جمع الحقائق الجغرافية والتاريخية، طاف في إيران، رحل إلى الهند وجزيرة سرنديب، فهو رحّالة أمضى شبابه في التّرحال طولا وعرضا فزار أصقاعا شتّى.[1]

إنّ أبرز ما يلفت النظر في حياة المسعودي هجرته من مسقط رأسه بغداد في مطلع شبابه وكثرة رحلاته إلى مختلف أقطار العالم المعروف وأقاليمه، كما أشار إلى شدّة حنينه إلى الوطن عند كلامه عن الإقليم الرابع:" ويعزّ علينا بما دفعنا إليه من مفارقة هذا المصدر الذي به مولدنا وفيه منشأنا، فتأتي الأيام بيننا وبينه، فبعُدَت الدّار وتراخى المزار... ولولا الشوق إلى الوطن والحنين إلى المنشأ"[2]، يتحدّث "المسعودي" عن حنينه إلى وطنه الأم الذي غادره وهو في شبابه كما تحدّث عن مولده ونشأته واشتياقه الشّديد إلى منشئه.

ولم يكن رحّالة فحسب، بل مؤرّخا وجغرافيا وفلكيا وفقيها كما شهد له العديد من العلماء المعاصرين له كونه تميّز بذكائه وتفتّحه كما أشار إليه"ميكيل" إنه فيلسوف ذكي جدا، واسع الاطّلاع، انفتح على كل الأنظمة الفكرية من فلسفات الحكماء إلى معتقدات ومذاهب عصره المتباينة[3]، كان "المسعودي" ممن حظي بالذّكاء الخارق كونه واسع الذّكاء ومتميّز عن بقية الرّحالة الآخرين.

---

[1]– ينظر، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، تح: إسماعيل عبد الهادي، مكتبة الشرق الإسلامية، ط 1، 1938 ص 38.

[2]– ينظر، ،المصدر نفسه، ص 38.

[3]– عمرو عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص41– 42.

تحدّث عن رحلاته وأسفاره، ومنهجه في البحث في مدخل« مروج الذهب» عمّا لقيهمن التجارب والمشاهدات خلال رّحلاته في مؤلّفات تاريخية ضخمة.[1]

وقد أشار المسعودي إلى أهمية السّفر في زيادة المعلومات والإطّلاع المباشر على أحوال البلدان وسكّأنّها" من تقاذف وقطع القفار، تارة على متن البحر، وتارة على ظهر البرّ، مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة متعرفين خواص الأقاليم بالمعاينة..."."[2] يعتبر المسعودي من الرّحالة المشاهير الذين أسهموا في تطوير الرّحلة وإيصالها إلى العصور الحديثة والمعاصرة، فهي بمثابة ثقافة شعبيّة، وزيادة في المعلومات القيّمة، والإطّلاع على حضارات الشعوب، فمنها الرّحلات البريّة والبحريّة، فالرّحالة لا يقنع بالرّحلة إلى بلد واحد وإنما يسافر إلى بلدان متعدّدة حتى يكتشف كل نفيس وثمين.

1-5-أمين الرّيحاني:

أمين الرّيحاني من مواليد نوفمبر عام 1876م، وعندما شبّ واشتدّ عوده أصبح قادرا على تلقّي العلم، فألمّ بمبادئ القراءة ويبدو أنّه أظهر ذكاء ونجابة في مرحلة تحصيله الأولى فدرس اللغة الفرنسيّة وأجادها حتى أصبح قادرا على إلقاء الخطب بلسان فرنسي مبيّن.[3]

فقد ركّز" أمين الرّيحاني على عدّة أمور منها: دراسة اللغة العربيّة ومطالعة" ابن خلدون" ومراجعة حضارة الإسلام ونهج البلاغة والحريري وغيرهم، ومراجعته لعلم الفيزياء، وعلم الحيوان

---

[1]- ينظر، عمرو عيد العزيز، المرجع السابق، ص 42.

[2]- علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، د/ ن، ط 5، 1963، ج 1 ص ص 10- 12.

[3]- ينظر، رحاب عكاوي، أمين الريحاني الأديب الرحالة، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 2005، ص 09.

والنّبات، كما درس السيكولوجيا، ودراسة وقراءة العديد من الكتب.[1]

من آثاره ألّف العديد من المؤلّفات كانت باللغتين العربيّة والإنجليزية وهي موجز لتاريخ الثورة الفرنسيّة 1902م، المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية 1903 و 1961، الرّيحانيات الأول والثاني 1910م، زنبقة الغور سنة 1967م.[2]

ومن المؤلّفات التي صدرت بعد وفاته، دروس ألف ليلة وليلة بالإضافة إلى العراق في عهد فيصل الأوّل، قبائل المايا في المكسيك. [3]

قضى" أمين الرّيحاني معظم حياته متنقّلا من بلد لآخر في الشرق والغرب وما ميّز رحلاته هو اتّسامها بمظهرين مهمّين، المظهر الأوّل تكسّبي تجاري، والثاني قومي وطني كما اطّلع على الآثار الأدبيّة حتى شغلته الحياة الثقافية عن الحياة التّجارية، كما تفتّحت أفكاره على القضايا الوطنيّة.[4]

تطرّق"أمين الرّيحاني" في حياته إلى العديد من المسائل بدراسته للعديد من اللغات الإنجليزية والفرنسية، وهذا ما ساعده في رحلاته إلى البلدان الغربية وتحصيله لرصيد معرفي يزخر به وفق أسلوبه المتميّز في رحلاته. ويبدو أسلوب الرّيحاني في مختلف رحلاته يتراوح ما بين العلمية والأدبيّة حيث عالج مظاهر الحياة المغربية والحضارة العربيّة القديمة معالجة دقيقة

---

[1]– ينظر، رحاب عكاوي، المرجع السابق، ص 22.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 74.

[3]– ينظر، م. نفسه، ص 75.

[4]– ينظر، م.ن، ص 76.

كما انتقل أسلوبه كذلك من العلمية والتاريخية إلى رقّة الأسلوب الشّعري، فكان ذو مشاعر فيّاضة في كتاباته لرحلاته التي أصبحت ذات صيغة مميّزة، فتميّز بالدّقة وذكره للتفاصيل مع العلم أنّه تحرّى الموضوعيّة في كتاباته لتلك الرّحلات وهذه ميزة لمعظم الرّحالة الجزائريين والعرب.[1]

2- مشاهير الرّحالة الجزائريين

2-1- الأمير عبد القادر الجزائري:

ولد الأمير "عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى" يوم الجمعة الثالث والعشرين من سنة 1222 الموافق ليوم 26 سبتمبر ألف وثمان مائة وثمانية، توفي مساء الجمعة التاسع عشر من رجب 1300هـ الموافق ليوم 24 ماي سنة 1883.[2]

قام "الأمير عبد القادر" بتدوين رحلته إلى الحجاز ضمن مذكراته التي تروي سيرته الذاتية والتي جمعها ونشرها بعض الباحثين فيما بعد، ونجد كتاب" مذكرات الأمير عبد القادر" أخبار رحلته المبكّرة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.[3]

يبدو أّن الرّحلة التي ألّفها "الأمير عبد القادر" كانت مختصرة مقارنة بالرّحلات السّابقة فقد تعرّض فيها الأمير إلى ذكر مسار رحلته انطلاقا من وهران مرورا بعدّة مدن جزائرية كالعطّاف والمديّة وقسنطينة ثمّ زار تونس، ومن هناك ركب البحر متوجها إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة

---

[1]- ينظر، رحاب عكاوي، المرجع السابق ،ص 80.

[2]- ينظر، محمد السيد علي الوزير، الأمير عبد القادر، ثقافته وآثارها في أدبه، وزارة الثقافة للنشر والطّباعة، الجزائر د/ ط، 2007، ص 15.

[3]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرّحلات الحجازية في الأدب الجزائري) من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الهجريين ق17- 19، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، ط 1، 2011، ص 44.

ثمّ بحر أسويس للوصول إلى جدّة فالحرمين الشريفين، وقام الأمير مع والده بأداء الحج والعمرة ثم قصد بعد ذلك الشام ثمّ بغداد التي زار فيها قبر الوليّ الصالح "عبد القادر الجيلاني" صاحب الطريقة القادرية في التّصوّف، ولم يرجع الأمير إلى الوطن بعد زيارة بغداد، بل كرّر الحج والعمرة، كما زار عددا من أضرحة الأولياء الصّالحين، ولقي عددا من العلماء، مثلما اطّلع على معالم البلدان الإسلامية، وتعرّف على أساليب الحكم العثماني خاصة، وعادات الأهالي وقد أشار محمد السعيد بن محي الدّين كاتب" سيرة محيي الدين" لسبب استصحاب محيي الدين ولده "عبد القادر" دون إخوته الآخرين لأنّه من الرّحالة الذين يتحمّلون المشاق والأتعاب في أسفارهم ورحلاتهم.[1]

2-2- العيّاشي: 1037هـ- 1090هـ/ 1628م- 1679م

هو أبو سليم عبد الله بن محمد أبي بكر العيّاشي المالكي، ولد بقبيلة آيت عيّاش قرب تافلان شعبان 1037هـ/ ماي 1628م، كان أبوه شيخ زاوية، وهو من أشرف على دراساته الأولى، ثم انتقل إلى زاوية وادي درعة، وتتلمذ على يد محمد بن الناصر، ثمّ عاد إلى فاس حيث أكمل تعلّمه على يد مشايخ مثل عبد الرحمان بن القاضي وبعدها سافر إلى المشرق وأقام بعواصمه طلبا للعلم، توفي بالمغرب الأقصى سنة(1090هـ- 1679م) بسبب الطاعون.[2]

---

[1]- ينظر سميرة أنساعد، (الرحلات الحجازية)، المرجع السابق، ص 44.

[2]- ينظر، مولاي بالحمليسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2، 1981م، ص 17.

أخذت رحلته طابعا موسوعيا، فقد احتوت أشعارا ومناظرات فقهيّة وجدلية[1] وهي رحلة ضخمة سمّاها« ماء الموائد»وضمّنها أخبارا وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها أثناء أسفاره، وأهمّ ما فيها وصف طريق الصّحراء والسّكان والعوائد، وأحوال المعاش، والحديث عن العلماء والدّين وأتعاب المسافرين رغم الاستطرادات الطّويلة للرّحلة فإن لها قيمة لفتت أنظار المستشرقين.[2]

2-3- المقرّي:

أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن أبو العبّاس **المقري** التلمساني، مؤرخ وأديب وحافظ، ولد بتلمسان سنة 986هـ وبها أخذ عن مفتيها عمّه العالم الفقيه المحدّث "سعيد المقرّي" وغيره، وفي سنة 1009هـ انتقل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى فلقي جماعة من علمائها منهم العلاّمة بن عمران السلاسي، ثمّ انتقل إلى مراكش في نفس السنة وتعرّف على جماعة من العلماء ثمّ عاد إلى فاس، من مؤلّفاته" نفح الطّيب" و" أزهار الرّياض في أخبار القاضي عيّاض" و" فتح المتعال في مدح النّعال".[3]

كان "المقرّي" مهتمّا بالعلم والأدب منذ صغره، فبرز فيهما معا ونبغ في الأدب خاصة بفضل شيوخه، وقد كان له في مدينة فاس شأن عظيم، إذ اشتغل فيها بالقراءة والتدريس وحضور مجالس العلم والعلماء.[4]

---

[1]- ينظر، خضر موسى محمد حمود، المرجع السابق، ص 161.

[2]- ينظر، مولاي بالحمليسي، المرجع السابق، ص 18.

[3]- ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1971 ص 41.

[4]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلات الحجازية)، المرجع السابق، ص 26.

استطاع "المقرّي" أن يحقق الشهرة التي يستحقها ويكسب محبة الناس له بأعماله الجليلة التي أنجزها، كتدريسه مختلف العلوم ومن أهمها الحديث والتفسير والفقه والأدب.[1]

سمحت الرّحلات المتعدّدة في حياة المقرّي بالإطّلاع الواسع على أحوال المغرب والمشرق واكتساب مختلف العلوم والآداب السائدة في عصره والاستفادة منها والتأليف فيها.[2]

2-4- الحسين الورثلاني:

عرف القرن الثاني عشر الهجري، رحلة حجازية أخرى، لعلّها أهم رحلة تعتني بالوصف الجغرافي والسّرد التاريخي، الخاصّين بالبلاد العربيّة، ومن المشجّع أنّ هذه الرّحلة متوفّرة كاملة مطبوعة دون تحقيق وقد اختار لها مؤلّفها عنوانا جذّابا دالا على مضمونها وهو« نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» كما أشار إليها" أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسّها الشادي، فأنّها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار" [3] كانت رحلته عظيمة حسب رأيه حيث تحدّث فيها عن الحسن والقبيح مبرزا المحاسن والمساوئ فهي رحلة متميّزة ذاكرا فيها بعض الأحكام الغريبة والشرعية.

اشتهر الحسين الورثلاني في قريته بني ورثلان التي كان مولده فيها سنة (1125هـ-1713م)، كما ذاع صيته في الجزائر وفي بعض البلدان العربيّة كتونس ومصر

---

[1]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلات الحجازية)، المرجع السابق، ص 32.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 33.

[3]- ينظر، م. نفسه، ص 38.

والحجاز، وقد لقّبه الحفناوي بالإمام العالم شيخ مشايخ الأعلام، كما اهتمّ بمختلف العلوم منها الفقه والنحو والعلوم الشرعية والأدب والتاريخ.[1]

ودعّمت رحلات الورثلاني الكثيرة داخل الوطن وخارجه شهرته واتّساع معارفه، فكان يتردّد على بلدان كثيرة منها: بسكرة وقسنطينة وعنابة وتلمسان وغيرها من المدن الجزائرية، إمّا لغرض زيارة قبور الأولياء الصالحين، وإمّا للنظر في شؤون الناس كالصّلح، بالإضافة إلى زيارته إلى تونس ومصر والحجاز للسياحة وطلب العلم وأداء فريضة الحجّ.[2]

اتصل بالعلماء في كل البلدان، وحضر مجالسهم وخاصة في مصر التي بقي فيها طويلا فاجتمع بالعالم الحفناوي وأحمد الجوهري.[3]

اعتمد في رحلته على مصادر كثيرة، فعن الجزائر اعتمد بالطّبع على مشاهداته الخاصة التي تعتبر فنا أدبيا عريقا للأدباء لما احتواه من معلومات عكست ثقافات الشعوب التي زارها أو احتكّ بها.[4]

2-5- أبوراس الناصر:

شهد القرن الثالث عشر الهجري تأليف رحلات حجازية كثيرة منها محمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر المعسكري، المعروف بأبي راس الناصر، وعنوان رحلته الشهيرة

---

[1]- ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلات الحجازية)، المرجع السابق، ص40.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 40.

[3]- ينظر، م. نفسه، ص 40.

[4]- ينظر، عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة للطباعة والتوزيع، لبنان، ط 2، 1982 ص 82.

" **فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربّي ونعمته**"وهي متوفرة كاملة محققة ومطبوعة، أشرف على طبعها محمد بن عبد الكريم الجزائري.[1]

ولد سنة 1150هـ- 1757م بالغرب الجزائري، حفظ القرآن الكريم وتعلّم الأحكام ثم الفقه عرف "أبو راس" تجربة السّفر والترحال منذ صغره، فلم يكتف بالتنقل بين مدن الغرب الجزائري فحسب بل انتقل إلى تونس ومصر والحجاز، ثم الشام وفلسطين، ثم رجع إلى الجزائر حيث تقلّد منصب الفتوى والقضاء، والخطابة في جامع بلدة معسكر.[2]

تتميّز رحلة "أبي راس" بمنهج دقيق، وهو يختلف كثيرا عن الرّحلات المذكورة رغم كونها تتناول موضوع الرّحلة إلى الحجاز، لغرض أداء فريضة الحج، فهي تظهر عملية أكثر منها دينية فكان المؤلف يهتم بالعلم والعلماء في المحل الأول، وكان طلب العلم، وملاقاة الشّيوخ، أوّل ما يتحدّث به "أبوراس" كلّما دخل مدينة، فيسهب في ذكر علمائها، ووصف العلوم والمسائل التي سمعها منهم، ترك تآليف كثيرة أشهرها عجائب الأسفار ولطائف الأخبار وكتاب الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية.[3]

2- أدب الرّحلة في الجزائر وقيمته:

لقد تعدّدت التعريفات والتعليقات لأدب الرّحلة من قِبل الباحثين والنّقاد في كثير من المحاولات لتحديد مفهوم عام وشامل لجنس الرّحلة في الأدب العربي خاصة، وفي العالم العربي

---

[1]- ينظر، سميرة أنساعد(الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري)، المرجع نفسه، ص 41.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 41.

[3]- ينظر، م. نفسه، ص 43.

عامة، وصولا إلى استنباط الأسس والعناصر التميّزيّة لهذا الفن عن غيره من الفنون الأدبيّة الأخرى، فمعجم المصطلحات الأدبيّة يعرّف أدب الرّحلة بأنّه" مجموعة الآثار الأدبيّة التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق.[1]

يعرّف أدب الرّحلة على أنه مجموعة من الانطباعات والوقائع التي يشهدها المؤلّف، ويقوم بسردها وتدوينها مركّزا على النمط الوصفي والدّقة في السرد والملاحظة.

ولابدّ للرّحالة أن يتميّز بالموضوعيّة والدقة، ولابدّ أن يكون من محبّي الرّحلات والأسلوب الممتع كما أشار إليه" أنجيل بطرس" في كتابه" الرّحلة في الأدب الإنجليزي"« أدب الرّحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرّحلات التي يقوم بها رحّال إلى بلد من بلاد العالم وبدون هدف يسجل مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة وجمال الأسلوب»[2] وهناك صفتان عامتان لابد من توفّرها في أدب الرّحلات وهما الدّقة وروح الرّحلة، والرّغبة الشديدة التي تتملّكه للقيام بها.

وأدب الرّحلة من الفنون الأدبيّة التي شاعت لدى العرب منذ القديم، وهو فن له خصائصه المعيّنة كونه يرفع النهضة التي ترى أنّ الأدب العربي يعالج فن القصّة.[3]

إنّ كل رحلة حقّقت لحساب الإنسان نبض الحياة المستمر على الأرض، وأنّ الإنسان الذي كرّس اجتهاده لإنجاز الرّحلة لم يفرّط أبدا في جني ثمار الرّحلة والانتفاع بها، وكذلك اجتهد

---

[1]– ينظر، سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري)، المرجع السابق، ص 31.

[2]– ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص 38.

[3]– ينظر، فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص 23 – 24.

الإنسان في ابتكار الوسيلة التي يستخدمها في الرّحلة كي يوسّع دائرة انتفاعه بالرّحلة ولكي يؤمّن سرعة الرّحلة في الذهاب والإياب لحساب حركة الحياة واستجابة لمصالحها.[1]

2-1- أدب الرّحلة في الأدب الجزائري:

لقد أسهم الجزائريون في أدب الرّحلات مساهمة واضحة ولاسيما في القرن الثاني(18) وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علميّة.[2]

ولعلّ من أقدم الرّحلات التي تنسب إلى ما قبل العهد العثماني هي رحلة(التوجاني التلمساني). كما أن "أحمد المقرّي" قد ساق في أزهار الرياض، رحلة لجدّه" محمد المقرّي التلمساني" المعروف بأنه أستاذ ابن خلدون، وتنسب إلى "أحمد القسنطيني" المعروف بـ" ابن قنفذ" رحلة تعتبر في حكم الضائعة، ولعلّها موجودة بتونس أمّا الرّحلات في العهد العثماني فتنقسم إلى قسمين: رحلات علميّة وأخرى حجازية.[3]

2-1-1- الرّحلات العلميّة:

من أقدمها رحلة "عاشور بن موسى القسنطيني"، المعروف" بالفكيرين"، تحدّث فيها

---

[1]- ينظر، حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص 21.

[2]- ينظر، عبد الله كروم، المرجع السابق، ص ص 45 -46.

[3]- ينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن 10- 14، ج 2، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط 2 1985، ص 396.

عن طلبة العلم في عدة بلدان، وتحدّث عن غريب البلاد وأهلها... وذكر غرائب المسموعات من زي أهلها الباشا وقوتاً. ومن الرّحلات المكتوبة، وغير الحجازية رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش" الذي عاش في القرن الثاني عشر، فهي رحلة قام بها المؤلّف لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان فمكناس ثمّ فاس وبعدها عاد إلى الجزائر من تطوان وقد وصف الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب، وسجّل ملاحظاته وإجازات العلماء له وأحكامه في رحلته التي تعرف أيضا باسم(لسان المقال).

ولعلّ آخر هذه الرّحلات رحلة(**زين** الدين الأغواطي) والتي كتبها في أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر استجابة لطلب مساعد القنصل الأمريكي بالجزائر(وليام هودسون)، وقد تحدّث الأغواطي في رحلته عن الصحراء وقراها،وواحاتها وعاداتها وتقاليدها وذكر توات وتحدّث أيضا عن جزء من الجزيرة العربيّة وقابس.[1]

2-1-2- الرّحلة الحجازية:

توجد رحلات كثيرة نذكر منها: رحلة البوني المسمّاة« الروضة الشهية في الرّحلة الحجازية» ولكنها في عداد الضائع، و"لابن عمار" رحلة أخرى تسمى«**نحلة اللبيب في أخبار عن الحبيب**»ومن أشهر الرّحلات الحجازية رحلة "الورثلاني"، وقد تضمّنت رحلته نبذة عن حياته وتحليلا لما رآه في الجزيرة العربيّة، ورحلته تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي من القرن الثاني عشر هجري(18م)فهي من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال

[1]- ينظر، عبد الله كروم، المرجع السابق، ص ص 47-48.

أمّا في العهد الاستعماري فقد وظّف المستعمر الغاشم الرّحلة لتحسين صورته وتحقيق أغراضه الاستعمارية، وتتضمن رحلتان اتّجه صاحباها من الجزائر إلى باريس برعاية الحكّام العسكريين في الجزائر وفرنسا.[1]

الرّحلة الأولى رحلة" سليمان بن صيام" إلى بلاد فرنسا أو الرّحلة الصيامية وكانت سنة 1852م أمّا الرّحلة الثانية فصاحبها" أحمد بن قادة" سمّاها«**الرّحلة القادية في مدح فرنسا وتصبير أهل البادية**»وقد برع الرّحّالتان في تمجيد المستعمر، ووصفا فرنسا وصفا يصل لحدّ الافتتان والإعجاب أما في القرن العشرين فقد نمت الرّحلة وتطوّرت وانفتحت على الخارج أيضا بوجه سياسي نضالي وقد فرض على الرّحالة الدخول في معركة ذات جبهات مختلفة، أوّلهما مع المستعمر وثانيهما مع مظاهر التّخلّف والأميّة والفقر والجهل.[2]

لم تعد الرّحلة أدب نزهات خالصة ولا معلومات تاريخية بحتة بل غدت ضربا من النضال السياسي والاجتماعي والثقافي لتغيير الواقع والتعريف بحق الوطن والمواطن في الأمن، والحريّة والاستقلال ونذكر هنا مجلة الشهاب، ورحلات" البشير الإبراهيمي" إلى الأقطار الإسلامية ورحلات المفكر" مالك بن نبي" لإيقاظ الأمة الإسلامية وحل مشكلة الحضارة ورحلات العديد من العلماء والأدباء الجزائريين المحدثين.[3]

---

[1]– ينظر، عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 48.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 49.

[3]– ينظر، م. نفسه، ص ص 49–50.

2-2- الرّحلة داخل القطر الجزائري:

2-2-1- رحلة سيدي "عبد الرحمن التينلاني" داخل إقليم توات:

قام الشيخ سيدي عبد الرحمن برحلات داخل الإقليم طلبا للعلم وبمعيّة شيوخه، فرحل

إلى زاوية كنته لزيارة شيخه سيدي "عمر تينلان" فيقول عن أوّل لقاء جمع بينهما" لقيته بزاوية عم والدي تينلان قدّمها على شيخها" أبي حفص" لخصومة بينه وبين رجل قد كنت رأيته قبل ذلك إلاّ أنّي لم أجالسه".[1]

يتحدّث الشيخ "عبد الرحمن" عن أوّل لقاء له مع عمّ والده تينلان منذ مرور سنين عدّة لم يتمكن من رؤيته لكن الرّحلة كانت سببا في لقائهما.

وكان الشيخ عبد الرحمن مشتاقا لعلم اللغة فكانت هي المدخل لارتباط التلميذ سيدي عبد الرحمن بن عمر بالشيخ سيدي عمر.

2-2-2- رحلة ضيف الله بن محمد لزيارة قبر والده بتيميمون:

هي رحلة قام بها لزيارة والده من بلدته إلى تيميمون، وهي رحلة طويلة وبكتابة متناهية الدّقة والرّقة، ذكر فيها القصور التي زارها في الأقاليم الثلاثة لتوات، فزار بوعلي وسالي، وزاوية الرقاني ثمّ زار زاوية أبي الأنوار ومطرون، كما مرّ على قصور أفران وأولاد محمود وتيميمون ويذكر فيها سبب الرّحلة قائلا:« قصدت بها بيان نبذة وخبر رحلتي من بلدتي لزيارة شيخي ووالدي

[1]-عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 81.

رحمه الله»[1] تميّزت رحلة« ضيف الله» بالدّقة والرّقة المتناهية مع ذكره للتفاصيل التي مرّ بها وهي زيارته لبلدته وشيخه.

وذكر في رحلته ما رأى من البلدان والأودية ومجاري الوديان وتحدّث عن خصومة كانت بينه وبين أبيه، واستعان بالشيخ" سيد عمر الكنتي" فقام للصلح بينهما، وفي رحلته يكثر من ذكر الفوائد وذكر الطّعام والإشادة به وتفاصيل بين القصور في إعداد الطعام، والعادات والتقاليد التي تزخر بها تلك الزاوية من كرم وجود.[2]

2-2-3- رحلة مولاي أحمد بن هشام العموري إلى المستور:

يبدو لي أنّ هذا الرّحالة من خلال رحلته كان مهتما بالأنساب والأعراف، وخصوصا معرفة نسب وأخبار قبيلته الشريفة فيذكر في بداية رحلته أن سببها هو زيارة قصر المستور، المكان الذي يرقد فيه أجداده، حيث قام" أحمد هاشم بزيارة رقان التي لطالما أراد زيارتها، وتحقق له ذاك دون أية صعوبات.[3]

اهتم« مولاي أحمد بن هاشم العموري» بالأنساب والأعراف وهذه ميزة ميّزته عن باقي الرّحالة، والسبب الرّئيس في هذه الرّحلة هو زيارته لقصر المستور الذي كان حلمه المنتظر، حيث

---

[1]- ينظر، عبد الله كروم ، المرجع السابق ، ص 81.

[2]-ينظر، المرجع نفسه، ص ص 85-86.

[3]- ينظر ،م. نفسه، ص ص 88-89.

ذكر تاريخ خروجه من قصر أولاد عمور وهو الأحد 20 جمادى الأولى 1113هـ- 1705م وعدد القصور التي زارها ودخلها وسجّل ما فيها من الأنساب، وما أخذ عنها من معلومات.[1]

ويمكن أن نحدد قيمتين أساسيتين لأدب الرّحلة وهما القيمة العلمية والقيمة الأدبيّة.

1- القيمة العلمية: تتجلّى هذه القيمة في المعلومات التي تقدّمها في مختلف الاختصاصات التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، من وصف للمسالك والعمران ونمط المعيشة

من عادات وتقاليد ليكون أدب الرّحلة بمثابة مدوّنة يلجأ إليها الكثير من الدارسين لاستخلاص العديد من المعارف بكل اطمئنان وارتياحية، ففي مجال التاريخ مثلا تقدّم الرّحلات معلومات لم يقدّمها لنا العلم المختص في هذا المجال، فهي تنقل ذلك الاختصاص بواقعيه وبكيفيّة حية، فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها(السياسية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية) فإنّ الرّحلات أعطت كل ذلك بُعده المناسب، وتطرّقت إلى تحليل جوانب لم تتطرّق إلى تحليلها الوثائق التاريخية ، فقامت الرّحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجّه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ حدوده الضيّقة.[2]

---

[1]- ينظر، عبد الله كروم، المرجع السابق، ص 89.

[2]- ينظر، نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2008، ص 52.

ومن بين الأحداث التاريخية التي تعرّض لها الرّحالون بوضوح مجيء سيف الإسلام طغتكين بن أيّوب شقيق صلاح الدين الأيوبي، فقد أشار" ابن جبير" أثناء إقامته في مكّة المكرّمة إلى قدومه إلى الحجاز في طريقه إلى اليمن على إثر خلاف وفتنة وقعت بين حكامها.[1]

والأمر نفسه بالنسبة للجانب الجغرافي، فإذا كان الرّحالة يدوّن وقائعه الحاصلة ومشاهداته الجغرافية على سطح الأرض إنّما يعمل في خدمة علم الجغرافيا، فهو عندما يصف الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك وعندما يتحدّث عن الطبيعة والمناخ وظاهرات توزيع السكان وغير ذلك مما يُعدّ من صميم الدراسات الجغرافية، إنما يعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسيا بالنسبة لمن يتناول هذه الموضوعات بالدراسة... ذلك أنّ الرّحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية محددة.[2]

وإذا أمعنا النظر في مؤلّفات أدب الرّحلة العربي نجد أن القيمة العلمية تتجلّى بشكل واضح كما هو الحال في رحلات المقدسي والبيروني إذ لم يكن هدفهم الرئيس الرّحلة في حدّ ذاتها قدر اهتمامهم بوضع مؤلّف في تقويم البلدان كما فعل المقدسي مثلا أو وصف حضارة غير إسلامية كما جاء في دراسة البيروني للثقافة الهندية، إننا نرى في هذه الأعمال وما قدّمته من مادة ثرية دليلا بارزا على قيمة رحلاتهم وتزويدهم مباشرة بالمعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة

[1]– ينظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج 1، موفم للنشر+ طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر« الرغاية»، د/ ط 1988، ص ص 117– 118.

[2] – ينظر، سيد حامد النساج، المرجع السابق، ص 8.

والمعاينة الشخصية عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي زاروها أو أقاموا فيها.[1]

إنّ هذه القيمة العلمية التي ميّزت أدب الرّحلة مرجعها أن أصحابها شهود عيان لمختلف الأحوال والأوضاع، وإن كان بعض الدارسين قد تفطّنوا إلى بعض الأخطاء خاصة من الناحية التاريخية إلاّ أنّ هذا لا يقلّل من أهمّيتها ولعل خير دليل على ذلك هو ازدياد الاهتمام بهذا الفن وازدهاره، حيث يلجأ الرّحالون إلى الأسلوب العلمي في تدوين رحلاتهم ، فهو بذلك يعكس لنا ما وصلوا إليه من علم غزير، وسعة فهم مع حرصهم على تدوين ملاحظاتهم أوّلا بأولٍ، ومن لم يتسنّ له ذلك قام بتدوين رحلته عقب عودته إلى بلاده والتزامه جانب الدّقة وقوّة الملاحظة في كلّ صغيرة وكبيرة. وأهم ميزة لهؤلاء الرّحالة هي تميّزهم بالدّقة في تدوين الملاحظات واختيار الأسلوب الممتع وذكر التفاصيل المهمة جدا.[2]

إنّ الرّحالة وهو يقدّم هذه المعارف المتعددة المناحي، فإنه يقدّم في الوقت نفسه جانبا من سيرته الذاتيّة، فإذا كان أدب السيرة الذاتية هو إبحار في التاريخ قبل الخروج فإن أدب الرّحلة في الجغرافيا بعد الخروج، غير أنه إذا كان النوع الأول- السيرة الذاتية- إبحارا في تجلّيات الجغرافيا على ألّا يغيب هذا عن ذاك. على العموم فأدب الرّحلة يعتبر إبحارا في الجغرافيا على عكس أدب السيرة الذي يعتبر إبحارا في التاريخ وتجلّياته.[3]

---

[1]- ينظر، حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص 16.

[2]- ينظر، عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 88.

[3]- ينظر، مصطفى عبد الغني، من أدب الرّحلات، مشرق ومغرب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2007، ص 09.

ولأنّ الرّحالة وهو يسرد لنا رحلته من خلال تنقلاته ومشاهداته في ترتيب زمني دقيق، هو في الحقيقة يقدّم لنا جانبا مهما من حياته، فتكون بذلك الذات عنصرا حاضرا في الرّحلة بصورة ثانوية أو صورة محوريّة فهي تطلعنا على سيرة أصحابها، وعلى حقيقتهم وتكشف عن مواهبهم ودوافعهم للقيام بتلك الرّحلات، والأثر الذي خلّفوه للأجيال.[1]

ووجود هذا العنصر في أدب الرّحلة قرّبه من الشكل الفنّي، حيث أصبحت الرّحلات جزءاً أصيلا من حياتهم العلمية من أجل اتساع ثقافاتهم وتمكّنهم من الجوانب العلمية وتطبيقهم وعملهم بما علموا ليصبحوا بذلك عالمين عاملين كما أخبر بذلك« ابن خلدون»" إن الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزجه كمال في التعليم"[2] تعتبر الرّحلة لقاءات ثقافية بين علماء ومشايخ ورحّالة فهي جمعت بين العلم والأدب، كما ساهمت كذلك في تطويره.

2- القيمة الأدبيّة:

إذا كان أدب الرّحلة فنا أدبيا يحمل فائدة للمؤرِّخ والجغرافي وعالم الاجتماع... فإنه يحفل كذلك بكثير من الأساطير والخرافات وبعض المحسّنات البلاغية، وجمال اللفظ وحسن التعبير وارتقاء الوصف وبلوغه حدا كبيرا من الدّقة علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرّحلات ضمن فنون الأدب العربي.[3]

---

[1]- ينظر، نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص 244.

[2]- عبد الله عثمان الياقوت، أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلس من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، المملكة العربية السعودية، د/ ط، 2001، ص 84.

[3]- ينظر، سيّد حامد النساج، المرجع السابق، ص 08.

ومعنى هذا أن أدب الرّحلة تتجلّى أدبيّته في عدّة مواضيع، وذلك من خلال تلك الرّوائع الأدبيّة والأساليب الفنيّة التي تقدّم فيها موادها لترتفع بها إلى علم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني.[1]

فمن الناحية الأسلوبية نجد أنّ أدب الرّحلة يتنوّع أسلوبه من سرد قصصي وحوار ووصف دقيق للمشاهد المختلفة والعجيبة، هذا إلى جانب تزويد الرّحالة رحلته بالعديد من الظواهر البلاغية(سجع، طباق،جناس) بطريقة مسترسلة دون تكلّف أو مبالغة حتى لا تفقد الرّحلة فحواها وكثيرا ما يلجأ الرّحالة إلى التصوير، فيعمد إلى إبراز فكرته في صورة مرئية محسوسة وملموسة.[2]

فالرّحالة بعد أن يستقصي جوانب المظهر الحسّي يقيم علاقة تشابه بينها وبين المحسوسات ممّا يجعل القارئ يحسّ وكأنّه رحّالة مثله، يشاهد كل ذلك بعينه، ولعلّ هذا ما دفع "بشوقي ضيف" إلى عدّ أدب الرّحلة نتيجة لما تتّسم به" خير ردّ على التّهمة التي طالما اتّهم بها الأدب العربي ونقصد تهمة قصوره في فنّ القصة.[3]

---

[1]– ينظر، حسني محمود حسين، المرجع السابق، ص 08.

[2]– ينظر، بشرى محمد صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت المغرب، ط 1، 1994، ص 03.

[3]– ينظر، شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 06.

إنّ القول بأنّ أدب الرّحلة فنّ يقترب من فنّ القصة راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة بعض الرّحالة، هؤلاء الذين جنحوا إلى سرد القصص التي عاشوها أو سمعوا عنها، وكان سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية، قرّبت الرّحلة من عالم القصة.[1]

وإلى جانب السّرد نجد حضور الوصف الدّقيق والبارع في معظم الرّحلات، هذا الذي قرّب أدب الرّحالة إلى أسلوب القاص كون جوهر الرّحلة هو وصف السّفر من موضع إلى آخر وما تقع أبصار المسافر من مشاهدات وما يتطرّق إليه من أخبار.[2]

ثمّ إن أدب الرّحلة لم يقترب من فن القصة فحسب، بل اشتمل على جميع الفنون الأدبيّة فعلى سبيل المثال نجده يقترب من فن الرّواية في بعض الأحيان خاصة في العصر الحديث، إذ أخذت في الابتعاد عن الشكل القديم والترابط معا، بل وصلت عند بعض الكتّاب إلى الشّكل الرّوائي.[3]

وإذا كانت الرواية تقوم على قوانين يفتقر أدب الرّحلة لها وبالتالي لا يمكننا أن نعدّها من النّمط الرّوائي، فلهذا الجنس الأدبي قوانينه من عقدة وحبكة، وأشخاص متورّطين... الخ. ولا تأبه الرّحلة الواقعية للكثير من هذه القواعد إلا إذا كانت خيالية محضة.[4]

---

[1]– ينظر، نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق، ص 306.

[2]– ينظر، حسين نصار، أدب الرّحلة، مكتبة لبنان+ الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر،" لونجمان"، ط 1، 1991 ص 132.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص 132.

[4]– ينظر، م. نفسه، ص 132.

وبما أنّ الخيال ليس العنصر الوحيد الذي يميّز الرّواية ويدخل أدب الرّحلة الخيالية ضمن هذا الجنس الأدبي ومنه" فالرّحلة الأدبيّة إن لم تكن قصّة ولا رواية بالمعنى الدقيق فهي أخت شقيقة لهما"[1] لا يعتبر الخيال عنصرا أساسيا في الرّواية، وما تجدر الإشارة إليه هو أن الرّحلة الأدبيّة تعتبر مجانسة للرّواية والقصة.

ولهذا يمكن القول إنّ أدب الرّحلة ليس فنا مستقلا بذاته كبقية الفنون الأخرى(قصة رواية– شعر...) إذ نجد فيه من الفن القصصي ما يمكن معه أن يمثل جذور القصة الأدبيّة حيث اعتمد على عناصر أساسية واضحة هي السرد والحوار والوصف والبدايات والنهايات والتشويق والإشمال على هدف وغاية. وهو أيضا يحمل شكلا أكثر اتساعا بما سمح من مساحة لعدد من المستويات اللغوية أن تظهر شعرا كانت أم نثرا لتنقل المهم والجديد والممتع والنافع.[2]

وبعبارة أخرى إنّ أدب الرّحلة يجمع بين المتعة والفائدة المعرفيّة، وكثيرا ما يلجأ الرّحالة إلى الاستشهاد بأبيات شعرية تبرز أدبيّته سواء كانت من نظم الرّحالة نفسه وهذا ما يثبت قدرته الشعرية والنثرية معا، وأحيانا أخرى يستعين بأبيات غيره مما يؤكد سعة اطّلاعه ودقّة معلوماته.

والرّحّالة حين يستعين بالشعر إنما ليعبر من خلاله عمّا يختلج في نفسه من مشاعر حرّكتها مشاهداته وملاحظاته، ومن هؤلاء الرّحالة في التراث العربي نذكر على سبيل المثال قول" ابن بطوطة" في الإشادة بالغرب(يقصد المغرب العربي) والتي يعدّها أحسن البلدان.

---

[1]– حسين نصّار، المرجع السابق، ص 132.

[2]– ينظر، زيتوني لطيف، السيميولوجيا وأدب الرّحلات، عالم الفكر، مج: 24، ع 3، د ط، 1996، ص 257.

الغرب أحسن أرض ولي دليل عليه.[1]

ما لوحظ هو أن بعضا من الرّحّالة لجأوا إلى الشعر، كونهم يريدون التعبير عن نفسياتهم كل ونفسيّته وحالته الشعورية، كما أن" ابن بطوطة" أشاد بالمغرب العربي وهي نقطة تحسب لهم لا عليهم.

كثيرا ما يسيطر على الرّحالة الجانب الذاتي، فنجده يعبّر عن أحاسيسه ومشاعره سواء كان شعورا بالفرح أو بالحزن، لأن الرّحالة إذا أعجب بشيء أو نقم على شيء لم يجد وسيلة يعبّر بها وينقلها للقارئ سواء الكلمة المفعمة بالمشاعر والتي سيكون لها أثر في نفس المتلقي فيتجاوب معها فالرّحالة نقل مشاهداته في صورة ممتعة وأخبار تمتع وتستعرض بصورة أدبية تتّسق مع النفس البشرية فتشكل رافدا ثريا من روافد الفن والمتعة الأدبيّة.[2]

ركّز الرّحالة على الجانب الشّخصي والمشاعر الذاتية المفعمة بالأحاسيس الجيّاشة التي تبرز مدى تعلّق هؤلاء وما مدى حالتهم النفسيّة والشعورية. كما يلجأ الرحالة أحيانا إلى طابع السخرية والفكاهة بغية إضفاء لمسة خاصة لها تأثير على القارئ بل قد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا للحزن والألم النفسي.[3]

---

[1]– ابن بطوطة محمد عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، د/ب، د/ ط 2001، ص 332.

[2]– ينظر، نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص 276.

[3]– ينظر، ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص 58.

إذن الرّحالة ينقل لنا مشاهداته ومعايناته في عمل فني يتمتع بالأدبيّة ذلك أنّه ينقله بالتدريج من مستوى الاعتراف إلى مستوى العمل الفني. هذا من جهة ومن جهة أخرى الرّحالة لما ينتقل إلى بلد يختلف عن بلده دينيا وثقافيا، حيث تفيض كل أحاسيسه وتنفجر كل رغباته التي استطاع أن يكتبها وأن يبقيها حبيسة في وجدانه إلى هذه اللحظة وهو يشعر بتحرر تام يسمح بالاختلاط بمختلف الفئات الاجتماعية وتلقى من غيره تميّز كل أنواع التجديد التي يمكن أن يعثر عليها في بلد أجنبي.[1]

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ أدب الرّحلة يحمل قيمتين أساسيتين علمية وأدبية، لأن الرحّالة ينطلق من الواقع، وبما أن هذه الأحداث سيكون لها حتما تأثيرا على نفسية الرّحالة ومشاعره، فإنّ هذا يدفع بالرّحالة إلى المزج بخياله الخصب الخلاّق، فيخرج لنا تركيبا رائعا تتّحد فيه روحه بالعالم وتضفي عليه حياة جيّاشة بفضل ذاتيّتها المتدفقة وعاطفتها الفيّاضة، ويجنح الرّحالة أحيانا نحو الخيال في سرد رحلته حتى يثير الشوق والحيوية لدى القارئ من جهة، ويدفع عنه الرّتابة والملل من جهة أخرى.[2]

وبعد أن حددنا القيمتين الأساسيتين لأدب الرّحلة يمكن اختصارها في النقطتين الآتيتين:

1- يقدّم خدمة جليلة بمختلف العلوم ويكون في المجالات التالية:

1-1- في الجغرافيا ومعرفة البلاد ومناخها والمسالك والممالك.

---

[1]- ينظر، نادية محمود عبد الله، الرّحلة بين الواقع والخيال في أدب" أندريه جيد"، عالم الفكر، مج 13، ع 4، 1983 ص 114.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 118.

1-2- في التاريخ وتسجيل ما حلّ بالبلاد من عمران أو تخريب على يد الظالمين.

1-3- في معرفة عادات الناس وتقلبهم في حياتهم ونظام مجتمعها.[1]

2- يزخر بعناصر أدبية عدّة، الأمر الذي جعله موضع اهتمام الأدباء فهو" قريب من أدب القصة إذ يسرد الكاتب ما صادفه، وقد يجري حوارا بينه وبين من قابلهم في هذه البلاد النائية عن موطنه.

* أسلوب الكتابة في أدب الرّحلة يتسم بطابع العصر وينعكس عليه ما ينعكس على أسلوب النثر في العصر الذي كتب فيه.

* أسلوب أدب الرّحلة أسلوب شائق بما فيه من واقع غريب وبما فيه من أساطير لا يكاد يصدّقها العقل.

أدب الرّحلة يضيف جنسا من الأجناس الأدبيّة في النثر، إلى جانب أجناسه الأخرى من خطابة ووصايا ورسائل وغير ذلك.[2]

إلى جانب هاتين القيمتين، بإمكان لأدب الرّحلة أن يحقق قيمة أخرى لا تقل عن القيمتين السابقتين ألا وهي القيمة التعليمية، فإذا كان الرّحالة يقدّم لنا معلومات تاريخية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية تكون بمثابة عون لكل عالِم في مجاله واختصاصه من جغرافي ومؤرّخ واجتماعي... فإنّ هذا الرّحالة يستفيد هو الآخر من هذه الرّحلة إذ يتعرّف على الكثير

[1]- ينظر، أسماء أبو بكر محمد، ابن بطوطة: الرّحل والرحلة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ص 32.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 32.

من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره من خلال مخالطته للناس، كما أنه يستفيد من العلماء الذين جالسهم وتحاور معهم، مع اكتسابه للخبرة والتجربة، إذ يحصل على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التّعليم والتّهذيب، نظرا لما يصادفه أحيانا من المصاعب وما يؤكد ذلك أن الراحل حين يعمل في التدريس كان يكلّف بالقضاء ومهام أخرى، وهنا تبرز القيمة التعليمية للرحلات فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

فبهذه القيمة سيكون لأدب الرّحلة ثلاث قيم: قيمة علميّة– قيمة أدبيّة وقيمة تعليمية.[1]

وفي خاتمة هذا الفصل يمكننا القول:" إنّ أدب الرّحلة يشكّل جنسا أدبيا يصوّر فيه الرّحالة ما شاهدوه وما جرى لهم من أحداث ووقائع، وما صادفهم من أمور أثناء رحلاتهم وحياتهم اليومية فكانت بذلك كتب الرّحلات من أهم وأوثق المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية.

ومن الرّحالة العرب الذين كانت لهم رحلات مميّزة والتي تميّزت بطابع أدبي سردي قصصي ذكرنا على سبيل المثال: الرّحالة" ابن بطوطة"،" ابن جبير"،" المسعودي" و" أمين الريحاني".

[1]– ينظر، نوال عبد الرحمن الشوابكة، المرجع السابق، ص 53.

ومن الرّحّالة الجزائريين ذكرنا:" الأمير عبد القادر"،" العيّاشي"،" الورثلاني" فهؤلاء الرّحالة استقوا رحلاتهم ومعلوماتهم من المشاهدة الحيّة والتّصوير المباشر، فكان أدب الرّحلة فنّا يجمع بين المتعة والفائدة.

ولأنّ الرّحالة ينقلون من خلال رحلاتهم كلّ ما سمعوه، وما وقعت عليه أبصارهم فأصبح هذا الأدب سجلّا أدبيّا حقيقيّا لمختلف المعلومات والمعارف.

فقد جمعت الرّحلة بين السّرد والوصف وكأنّها رواية أو قصة طويلة لكن تبقى في آخر المطاف مجرّد رحلة شيّقة لمؤلّفين صمدوا ودوّنوا المعلومات بدقة وموضوعية وبكل وضوح.

الفصل الثانـي

دراسة وصفية لرحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة

"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"

قال إليوت:" ارتحلوا... انطلقوا أيّها الرّحالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرّحلة"[1]

أوّلا: موضوعات الرّحلة وقيمتها:

1- سبب تأليف الرّحلة:

قد تكون هناك مجموعة من الأسباب أدّت بـ"ابن حمادوش" إلى تأليف هذه الرّحلة: ربّما تكون الرّحلة نفسها، أو رغبة داخلية تعتريه أو من أجل استظهار مقدرته على الكتابة فالقصدية من الرّحلة قسمان: قصدية الرّحلة والتي تقتضي الذّهاب والإياب وقصدية الرّحلة من أجل الكتابة أما الأولى فهي من أجل الرّحلة وفقط ذهابا وإيابا، وبذلك تزداد خبرته وثقافته في مختلف العلوم والمعارف، والثانية من أجل الكتابة وفقط، وكأنه يكتب من أجل أن يكتب، وإظهار أسلوبه الأدبي المميّز، وإبراز عبقريّته الأدبيّة تجاه الموضوعات التي يتناولها، وهي مستقاة من الواقع الذي يعايشه.[2]

بالنسبة للدافع الأوّل والمتمثّل في الرّحلة نفسها، فلعلّ" ابن حمادوش" كتب في الرّحلة من أجل الرّحلة وفقط، كونه يرتحل باستمرار من أجل السّفر والمتعة والتّعرف على بلدان مختلفة بمختلف ثقافاتها وحضاراتها، فهو عاش فترة طويلة حتى أنّ رحلته دامت أكثر من أربع سنوات فرحلته كانت ممتعة إلى درجة التشويق، فقد تعرّف على علماء وشيوخ، وبفضلهم طوّر معارفه ودراسته مونه أخذ عنهم الكثير من العلوم والتي ساهمت في ازدهار القدرة الأدبيّة للرّحّالة الذي كان رحّالة بامتياز.[3]

---

[1]– خضر موسى محمد حمود، المرجع السابق، ص 19.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 17.

(3) – ينظر ، م. نفسه،ص ص 17-18.

أما الدّافع الثاني، قد يكون رغبة داخلية تعتريه بتسجيل الأحداث مع إبراز قدرته على سردها، فهي محشوّة بأخبار وتعاليق واستطرادات مختلفة، يتّضح لنا شكل الرّحلة في القسم الخاص بالحديث عن المغرب الأقصى، الذي بدأت الرّحلة إليه على ظهر سفينة فرنسية استأجرها ثلاثة تجار جزائريين، وكانت أوّل نقطة في المغرب" تطوان"، فيصف دخوله إلى تطوان" وصبيحة السبت بعد شروق الشمس، خرجنا من جبل طارق ألقينا مراسينا وألقى بعض أصحابها كانوا نزلوا في الفلوكة... فدخلت تطوان في أوّل الساعة السّابعة وصلّيت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها الشّيخ أحمد الورززي فسلّمت عليه"[1] ما لوحظ من خلال كل هذا هو ذكر التفاصيل الدّقيقة بكل حذافيرها دون الإيغال أو إدخال عنصري الغموض والإبهام الذي يجعل القارئ لا يستوعب الرّحلة أو بالأحرى لا يفهم أجزاءها ومعانيها. فرحلة" ابن حمادوش" كانت مفهومة وواضحة المعاني، وذات معانٍ موحية توحي بالبساطة والانسجام، إضافة إلى أنه وظّف مصطلحات بالعاميّة وهذا ما جعل الرّحلة تبدو بسيطة وذات مستوى راقٍ.

والدافع الثالث هو استظهار" ابن حمادوش" لمقدرته على الكتابة وذلك بتسجيل يومياته وسردها" أوّل يوم منه الأربعاء أخذت المنوى على ألفية العراقي وحاشية سيدي عبد الرحمان الفاسي على البخاري... وفي يوم الخميس ابتدأت نسخ نسخة من ألفية العراقي على السيرة المحمّديّة"[2] ما أراده" ابن حمادوش" من خلال رحلته هو إبراز قدرته على استظهار أدبيّته من أجل إعطاء نموذج أدبي راق فحقّا رحلته كانت نموذجا أدبيا ساميا لأنّه عبّر عن الأحداث

---

[1]– عمر بن قينة،(في الأدب الجزائري الحديث)، المرجع السابق، ص 99.

[2]– أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تح:أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1983، ص 69.

بكل موضوعية وحرّية مطلقة، وكان موقفه واضحا وبارزا تجاه ما يحدث وما يُشاهد، فلقاؤه بالعلماء جعله يدرس لهم ويحاول إبراز مقدرته على الكتابة مع أنّه رحّالة منفرد عن البقيّة.

2- موضوعاتها:

الموضوع الذي نتناوله بالدراسة هو موضوع الرّحلة، حيث نقوم بتحليلها لأنّها فن من الفنون الأدبيّة النّثرية، ولها دوافع وأسباب متعدّدة، كما أنّها تختلف من شخص لآخر ومن قوم إلى قوم ومن عهد إلى عهد، ونجد أنّ للجزائريين اليد الطولى في كتابة الرّحلات،لاسيما خلال القرن الثّاني عشر هجري لكونها وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان وتوسيع معارفهم وخبراتهم، ومن دواعيها حبّ المعرفة والتّعطّش إلى الإطلاع والاغتراب، وتكمن أهميّتها وقيمتها كفنّ وحركة وفعل إنساني له أهدافه منها: الهدف التعليمي الذي تتعدد وسائله وغاياته من بلاغيّة وإبلاغيّة.[1]

إنّ ما تركه الرّحالة من كتابات قد احتوى على الكثير من الملامح الأدبيّة والنواحي الجمالية التي برزت في اختيار الألفاظ وحسن الأسلوب وجمال التعبير، ولهذا افتتحت كتابات الرّحّالة مجالا للتّحليل الأدبي إضافة إلى كونها سجلا مهما يحتوي على معلومات أهم، ومع ذلك فقد اكتسبت مادة الرّحلات بصفة عامة شعبيّة وتداولا واسعا بين القرّاء.[2]

قال" ابن خلدون":"... فالرّحلة لابدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال".[3]

فقد تعدّدت الموضوعات بتعدد طريقة سردها وأسلوبها ومناهجها ومقاصدها.

---

[1] – ينظر، خضر موسى محمد حمّود، المرجع السابق، ص 19.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 19.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 9، 2006، ص 464.

فالرّحلة وسيلة لاكتشاف العالم والإنسان معاً وتوسيع لمواهب وخبرات الرّحّالة ومعارفهم والوصول إلى كلّ ما هو جديد، فقد كان" ابن حمادوش" من الرّحالة الجزائريين في العهد العثماني ومن خلال كتاباته صوّر لنا الواقع ووصف لنا الأشخاص والأحداث التي شاهدها وقدّم لنا ملخّصا للحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في ذلك الوقت، وما يؤكد ذلك تناوله لموضوعات متعددة كما في الرّحلة التي نحن بصدد دراستها.[1]

تناول العنوان في بداية رحلته الموسومة بـ:" لسان المقال في النبأ عن الحسب والنّسب والحال"[2] فالرّحلة تعتبر مصدرا فعّالا في ذلك العهد لأهميّة النصوص التي وردت فيها أخبار عن تونس والجزائر وغيرها، ولكن جانب الرّحلة منه يتعلّق بالمغرب.

فمن الموضوعات المعالجة في هذه الرّحلة تحدّثه عن ذهابه إلى جبل طارق في السّفينة والجماعة التي كانت معه، وعن الخوف الذي أصابهم ومدة بقائهم هناك"... ويوم الأربعاء16فيفري ألقينا المراسي بجبل طارق، ونحن على وجل، إذا به خرج لنا رايس المرسة فسألنا، فلمّا أخبره... فخرجنا إلى الموضع الذي أمرنا، وبقينا هناك بقيّة يومنا والخميس."[3] لاحظنا أن" ابن حمادوش" دقيق جدا وهذه ميزة تميّزه عن باقي الرّحالة العرب وهي سمة تجعله منفردا عن الآخرين، كما أنه يعتمد كثيرا على التسلسل التاريخي، وذكر الوقت بالضبط، فدقّته جعلت من رحلته رحلة زمنية وكأنه بداخل كبسولة الزّمن.

---

[1]– ينظر، عبد الرحمن بن خلدون،(المصدر السابق)، ص 465.

[2]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص 29.

[3]– المصدر نفسه، ص 30.

كما التقى" ابن حمادوش" في الجزائر بعالِمين أحدهما مغربي والثاني تونسي، أما المغربي فهو الشّيخ" أحمد الورززي" الذي كان قد قرأ عليه في رحلته وأجازه على ذلك. وأما العالِم التونسي فهو الشّيخ"محمد الشافعي الباجي" والذي كان من علماء تونس الذين أطالوا الإقامة هناك" وفي يوم الخميس لقيت الشيخ الورززي في جامع لكاش فأتاني بالبخاري ومسلم وموطّأ مالك وسمّى الله تعالى ثمّ سرد سنده لمسلم إلى المؤلف فسرد منه ما تيسّر ثمّ وضعه وسرد سنده إلى الموطّأ، وكل ذلك من كناشة وسرد منها ما تيسّر..."[1]. كما تناول جانبا عن إقامته في المغرب وعن المشاهد التي شاهدها والأعمال التي قام بها هناك فلقاؤه بـ" الورززي" جعله يسرد مؤلّفا عن ذاتية الرّحّالة وإنسانيّته، لأنّه سرد الوقائع كما هي وفق نمط سردي وصفي، دون الإيغال في المعارف وإتيان عنصر الإبهام.

التقى الرّحّالة بالشيخ" البنّاني" في المغرب" ونزلت في فندق السرايري في بيت مقابلة عين الشمال كراؤها ستة عشر موزونة في كل شهر فلقيت الشيخ امحمدالبنّاني الفاسي عند باب داره لأني كنت أتيت له بأمانة من الجزائر فدفعتها له وافترقنا"[2] لقاؤه بالشيخ" البنّاني" كان فرصة له للأخذ منه والتعلم على يده وأخذ دروس العبر والمعارف لأنّه شيخ اختص بالأدب والبحث المعرفي حتى أصبح شعلة أدبيّة ذات قيمة كبيرة، كونها سجّلت اسما ذهبيا بارزا في السّاحة الأدبيّة الجزائرية، والتي رسمت طريقا لرحلات أخرى، فكل عمل أدبي له ميزاته وخصائصه التي ينفرد بها عن سائر الأجناس الأدبيّة الأخرى.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 35.

[2]– المصدر نفسه، ص 32.

أمّا عن العادات والتّقاليد الاجتماعية والدينية في المغرب فقد ذكر منها" ابن حمادوش" طريقة فرض المكوس في ميناء" تطوان" التي اعتبرها عادة قبيحة" وكانت عادة قبيحة بتطوان ابتدعوها، أنهم يأخذون كلّ ما معك، ويحملونه إلى دار العشر ثم بعدما تنقضي أشغالهم من البحر تأتي العدول التي كتبت في البحر فتقابل كتابها مع العدول الذين بدار العشر ثم يدفعون مالا منفعة لهم فيه، ثمّ يتخلصون إلى أكل أموال الناس بالباطل فيأخذون كل ما معك... تطاون زهى بنفسه فظنّ غلبة سيده، فخرج له بمحلّة عظيمة"[1] في هذه المسألة تطرّق إلى عادة فرض المكوس والمقصود بها هو أكل مال النّاس بالباطل وأخذ حقوقهم دون سابق إنذار وهذا أمر فيه ظلم للأفراد لأنّه يقضي على حقوق النّاس، وهذا فيه نوع من الفساد الأخلاقي وانعدام الأخلاق والتربية في مجتمع ظهر فيه طغيان الأقوياء على الضعفاء، وأكل الأشخاص لأموال بعضهم باطلا، وهذا أمر يحرّمه الشّرع والقانون.

وصف أيضا عيد الأضحى في تطوان" وفي يوم السبت صنع عيد الفطر بغتة، كان مطرا غزيرا وسحاب ليله ونهاره إلى الضحاء أتت بينه من طنجة فصنع العيد وذهبنا إلى المصلّى فخرج قائدهم في جماعته وبين يديه حربة عالية طويلة جدا، وخطب بنا إمام نسيت اسمه، هو عظيم جامع القصبة، وكان خطيب جامع الباشا في حياته، ما رأيت فيما رأيت غير الشيخ زيتونة مثله جمع فيها مواعظ ورقائق وبشائر، فرجعنا ومؤذن الزوال يؤذن ، ولو لم يكن المطر لأذّن ونحن بالمصلّى"[2] عيد الأضحى هو عيد الأمّة العربيّة الإسلامية كلّ سنة وصف فيه كل الوقائع

---

[1] – أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش)، (المصدر السابق)، ص 31.

[2]–المصدر نفسه، ص 107.

والأحداث الحاصلة آنذاك ذاكرا كلّ ما يحدث في ذلك اليوم السّعيد الذي يمثل شعلة مضيئة في بلاد المسلمين، فهذا اليوم عيد المسلمين والعرب أجمعين، فالرّحّالة كان مجيدا وموضوعيّا في تصويره للأحداث والتّفاصيل الدقيقة.

دارت موضوعاته حول العادات الجزائرية والتي هي جملة من العادات الاجتماعية الشائعة آنذاك منها ذكر الصّلاة المعهودة عند ختم صحيح البخاري، ورشّ الخدم لماء الورد على النّاس بالجامع الكبير، كما وصف عادة أهل الجزائر في ليلة القدر في عدّة مناسبات، وقارن بينها وبين عادات أهل المغرب أيضا" فلمّا التقينا، بعد صلاة ظهر هذا اليوم لِنَلْقِف بخاري الدراية بعد الصّلاة فقرأ المصلي باب الوضوء قبل الغسل ثمّ تبع الشيخ شرح ذلك، وصلّينا على النّبي الصّلاة المعهودة في الجزائر عقب البخاري وهي: اللّهمّ صلّ أفضل صلاة على أشرف مخلوقاتك سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم...لأنّها ليلة سبع وعشرين بالرايا"[1] ومن العادات الجزائرية المولد النبوي الشريف وهي عادة مميّزة للشعب الجزائري والأمّة الإسلاميّة جميعا، فيها نوع من الفرح والبهجة والمأكولات الطّيبة التي تمتاز بها كل منطقة، وذكر الصّلاة المعهودة عند ختم البخاري وكلّها تمثّل امتيازا بالنسبة للعادات الجزائرية والجزائريين الذين حافظوا عليها لأنّها تمثل عاداتهم الموروثة عن الأجداد والتي ظلّت سائدة إلى ذلك الوقت ولم تندثر نتيجة العلو والتّطرّف.

وصف عادة ليلة القدر" وعادة متولي الجامع الكبير يفرغ قنطارا أو أكثر شمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضر ما بين الثلاثة أرطال إلى الأربعة في كل واحدة ويأتون بهم إلى دار المفتي أو الوكيل أيهم يحب الظهور، فإذا صلّى العصر أخرج ذلك المؤذنون أو غيرهم... فإذا

[1]–أبو القاسم سعد الله ،(رحلة ابن حمادوش)،(المصدر السابق) ، ص 125.

قُرب الفجر أوتروا وقرأوا ما تيسّر من الفواتح، ثم أعلموا الناس بالفجر"[1] كان متولي الجامع الكبير يفرغ قنطارا أو أكثر من الشمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضر ما بين الثلاثة إلى أربعة في كل واحدة، ويحمل القرّاء هذه الشموع إلى دار المفتي أو الوكيل ويطوفون بها الشوارع والمدن حتى تصبح ظاهرة في واقعهم وبذلك يصبحون يمثّلونها في بلادهم كعادة سائدة في مجتمعهم الذي يدافع عن العادات والتقاليد الموروثة حتى تصبح تراثا يُحكى عنه في ذلك الزمن.

وصف عاداتهم أيضا في الاحتفال بالمولد النبوي في عدّة مناسبات وقارن بينها وبين عادات أهل المغرب أيضا" وفي ذهابي له لقيت الطبّالين والعيّاطين، وآلات الطّرب كلّها في السوق ذاهبين بأربعة قبّات من شمع، كل واحدة من لون، واحدة من لون أحداها خضراء وأخرى بيضاء وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها أخف مما يجعل في الجزائر عندنا"[2] قام بوصف عادة المولد النبوي وهي مناسبة إسلامية خاصة للأمة العربيّة والإسلامية كافة لأنّها تمثل مولد خير الأنام وخاتم الأنبياء محمد- صلّى الله عليه وسلّم- فهي مناسبة سعيدة دينية تؤكد ما مدى حب البشر للرّسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

أمّا عن أخبار العلماء المغاربة في" مكناس" فقد لقي الشّيخ" عبد السّلام القبّاب" مؤقت جامع النّجارين، والشّيخ" عبد القادر الفاسي" مؤقت الجامع الكبير" فدخلت مكناسة عند الزّوال من يوم الأحد سادس والعشرين من صفر من عام 1156 الموافق للعاشر أبريل من سنة 1743 مسيحية، وفي يوم الاثنين التقيت بـ" سيدي عبد السلام القبّاب" بلغني أنه من خيارهم فلم أجده

---

[1]- أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص ص 125- 126.

[2]- المصدر نفسه، ص 84.

يحسن شيئا غير علم التوقيت، وهو موقّت جامع النجارين فاجتمعت معه حسن اللقاء، وهو أخبرني أنّ موقّت الجامع الكبير سيدي عبد القادر الفاسي أعلم منه بهذا الفن فوجدته ...."[1] كما تحدّث عن أخبار العلماء في المغرب، وما يقومون به من دروس ومحاضرات ومداخلات فيما بينهم والأخذ منهم العبر والمعارف العلمية التي نحن بحاجة إليها، والتي نستطيع من خلالها التعبير عن الواقع المعيش سواء أكان واقعا مريرا أو واقعا لا بأس به، يستطيع الفرد أن يتعايش معه وفق منهجية متّبعة ووفقا لظروفه السّلبية والإيجابية هذا حسب ما يورده الواقع.

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم في المغرب نذكر الشيخ" علي بن محمد بركة" تطواني" شيخنا العلاّمة النّاسك العابد المنقطع الزّاهد، المكثر العبادة والمتّصف بصفات الورع والزهد الشيخ العظيم البركة الحاج الأتقى الأبر أبو الحسن سيدي علي بن محمد بركة تطواني... قرأت عليه بعض صحيحي البخاري ومسلم والموطّأ والشمائل..."[2] أخذ الرّحالة عن شيوخ أكفّاء درسوا الأدب والمعارف والدّين وكانوا خير خلف لخير سلف، فهم من الزّهاد ومحبّي الله ورسوله- صلّى الله عليه وسلّم- كانت لهم معارف ودراسات ومحاضرات في قمّة الأدبيّة والعمليّة وهذا ما يشهد لهم من مؤلّفات خاصة بهم لازالت إلى يومنا هذا تشهد لهم بالعلم والمعرفة وحب التطلّع والاستفسار.

بالإضافة إلى قراءاته على الشّيخ محمد بلقاسم بن زاكور" شيخنا العلامة المحقق المدقّق الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور وصاحب التآليف العجيبة والتصانيف الأنيقة قرأت عليه شرحه على الخزرجية....وكتب لي عليه إجازة وجزءا من شرحه على الحماسة، وديوان

---

[1]- أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 77.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 47- 48.

شعره..."[1] كان الرّحّالة كثير الالتصاق بالعلماء والشيوخ وهذا جلي من خلال سرده للقاءات الواردة بينه وبين شيوخ وعلماء العلم والمعرفة، وهذا ساعده كثيرا على تطوير لغته وأسلوب رحلته لأنّه أخذ عنهم م يفيده ويستفيد منه غيره وكذا الإلمام بالموضوع والإحاطة به من كل الجوانب العلمية والأدبيّة.

ومن العلماء الجزائريين نذكر" محمد بن ميمون" الذي طالما جالسه ودرس عليه ومعه وكان" ابن ميمون" له من الوظائف الرّسميّة، والجاه ولدى الحكام والعلماء يجعل داره منتدى للأدباء" وفي يوم الحد التاسع عشر جمادى الأخيرة **موافق السابع** يوليه ابتدأت على شيخنا " ابن ميمون" سرد قصيدة مالك بن المرحل" نظم فصيح ثعلب في اللغة، وهي من بحر الرجز وعدد أبياتها ألف وثلاثمائة ونيف... وفي يوم الأربعاء عرض عليّ الشّيخ الإتقان في علوم القرآن تأليف الشّيخ السيوطي، فقرأت فيه فصل ما نزل من القرآن على لسان الصحابة وموضع فواتح السور وأبيت سرده لطوله"[2] كان لقاء" ابن حمادوش" بـ" ابن ميمون" متميّزا كونه أخذ عنه المعارف وحضر له الدروس التي قدّمها، وكانت داره منتدى للأدباء يلتقون فيها ويتبادلون المعارف والعلوم وجميع الآداب المختلفة، حتّى أنّهم كانوا يتبادلون معظم الأجناس الأدبيّة على اختلاف أنواعها ويصفونها ويقومون بالتعريف بها والأخذ منها لتطوير الأجناس الأخرى، أما بالنسبة للدروس المقدّمة من طرف الشيوخ كانت دروسا في قمّة المعرفة ويحتذي بها في مجال العلم والدراسة.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص 58.

[2]–المصدر نفسه، ص 216.

نذكر" ابن عمّار" الّذي كان صديقا له حيث كنب شهادة وتقريضا لكتابه(الدّرر على المختصر)على أنّه صالح للإقراء والمذاكرة" وكنت أجتمع معه إمّا في بيته في مدرسة الجامع الكبير، وإمّا بالجامع الكبير، وأكثر الطلبة حاضرون شاهدون زاعمين من حسدهم فلمّا ظهر ما يسوؤهم امتنعوا من الشهادة على خطة حتى انتدب منهم من خصّه الله بالتوفيق وغسل قلبه من الحقد بالتحقيق منهم الأديب الأريب، ذو القلب الناطق والقول الصادق..."[1] بالدراسة والتحليل تأكد أن" ابن عمار" كتب تقريضا لكتابه(الدّرر على المختصر) فهو صالح للقراءة عبر العصور وهو مميّز وفيه عبارات وملخّصات متميّزة يحتاج إليها الفرد أو المتلقّي، فهو ذو شخصيّة فذّة يستطيع من خلال كتاباته إقناع القارئ والوصول إلى ذهنه وإبراز قدرة الرّحّالة على كتابة رحلاته وسردها بطريقة منتظمة وكأنّها يوميات مسجّلة بطريقة نظامية وفق تفصيل زمني دقيق، فهي تحمل رسائل معبّرة وملخّصات فريدة من نوعها تهدف إلى التعريف بالرّحلة وما جاء فيها من مواضيع وسير ذاتيّة.

من المشاهد الغريبة التي رآها" ابن حمادوش" وهو في طريقه بين" تطوان ومكناس" " من غريب ما رأيت في هذا الطريق قرب المرج الطويل، وجدتهم يحصدون الشّعير في خامس أبريل، وفي هذا المرج السمك تسعة بوري مقلو... ومن غرائب ما رأيت أنّ في هذا المرج قوارب يصطادون بها السّمك والطّير والبيض...".[2]

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص ص 259– 260.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 73– 74.

تحدّثه عن المشاهد الغريبة كان من باب الصّدفة، وهذا أمر عارض، ولم يكن في الحسبان لكنه كتبها وتحدّث عنها بكل تفصيل دقيق لأنّها صادفته عن طريق الصّدفة، ولم يكن يحسب لها حسابا ظاهرا لكنها ظهرت وفقط. فتلك الغرائب شكّلت منعرجا حاسما في رحلته، لأنّه من خلالها يروي قصصا تبدو خيالية نوعا ما، لذلك سمّاها المشاهد الغريبة التي تُدهِش القارئ ويكاد لا يصدّقها.

ومن المشاهد الغريبة أيضا رسم قارب من ورق البردي:" وهذه صفة القارب المذكور وتلك الخطوط المحوقة داخله هو موضع ربطه بالخزم، حبال الدوم الرقائق، وهذا غريب جدا ما رأيت مثله قط، ولا يضع تحته لا قرع ولا قرب بخلاف ما يوجد في النّيل فإنّه لا يبلغ هذه الصحة".[1] ومن المشاهد الأكثر غرابة هي رؤيته لقارب مصنوع من الورق، هذا الأمر جعل الرّحالة يبدو وكأنه غير مصدّق لما رآه فاندهش واستغرب من الأمر، وقام يسرد ذلك في رحلته فنجح في إيصال رسالته إلى القارئ أو المتلقي.

كما أنّه شاهد مشهدا أكثر غرابة ترك أثرا في نفسه:" ومن غريب ما رأيت أن من القصر إلى مشرع الرملة أكثر بَقَرِهَا بيض، فإن لم تكن كلّها بيضا ففيها **شيات**، وما رأيت مثل هذا المحل في شدّة بياض البقر وأما وادي سب فقطعنا بقارب من عود كبير يحمل خمس بهائم وخمسة أحمال وسبعة رجال، يأخذ موزونة ونصف، لكل حمل أجرة"[2] ما جعل الرّحّالة يندهش أكثر فأكثر

---

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق) ، ص 74.

[2]– المصدر نفسه، ص 74.

هو رؤيته لقصر مشرع الرّمل الذي أثّر في نفسيّته وجعلته يعبّر عن ذلك في رحلته المشهورة والتي لقيت استحسانا من طرف القرّاء.

وفي عقود الزواج التي ذكرها في الرّحلة مادّة غزيرة للباحثين، من خلالها يمكن أن نعرف أنواع العملة المتداولة في ذلك الوقت، ونوع الصّداق وقيمته حسب الأهميّة الاجتماعية للزّوج فالقفاطين وقناطير الصّوف والنقود كلّها كانت تشكّل القاعدة العامة للصّداق، حيث ذكر عقد زواجه" الحمد لله، تزوّج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشّاب عبد الرزّاق بن الحاج محمد بن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمّه المكرم الحاج أحمد الدبّاغ على صداق مبارك قدره قفطان واحد وثلاثة قناطير صوف..."[1] شكّلت عقود الزّواج مؤشّرا واضحا في رحلة" ابن حمادوش" كونها تصوّر الزواج في ذلك الوقت وما يقتضيه من صداق وعملات، فالزواج رابطة مقدّسة وهي ميثاق غليظ حيث تحدّث الرّحّالة عن عقد زواجه الأوّل وهذا جلي في رحلته المميّزة.

كما أشار إلى عقد زواج أخته" الحمد لله، تزوّج على بركة الله وعونه وعلى منهاج الشّرع القويم المكرم الأجلّ الزّكي الأفضل السيّد علي الحرار بن الحاج علي، مخطوبته وكريمته البنت آسيا... على صداق مبارك قدره أربعمائة دينارا جزائرية خمسينيّة العدد، وقفطان وقنطاران اثنان صوفا".[2]

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش)،(المصدر السابق)، ص 241.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 243– 244.

عند إشارته إلى عقد زواجه قام كذلك بالحديث عن عقد وزاج أخته، فالعقود لهذا الرّحالة كانت كثيرة ومتشعّبة في هذه الرّحلة، وما يميّزها هو تسلسله الزّمني فهي مذكورة وفق زمن دقيق ووقت مفصّل.

كما ذكر مجموعة من خُطب الزّواج كتبها بنفسه" الحمد لله الذي أحلّ لنا النّكاح وحرّم علينا السّفاح، والصّلاة والسّلام على من بذكره القلوب ترتاح وبعد يقال لِأب الزوجة أو وليّها صلّ على النبي وقل زوّجت ابنتي فلانة من فلان على صداق ما بين نقد، ويقال للزوج صلّ على النبي وقل قبلت منه، وعليّ ما قال نحو ما هو مفصّل"[1] يتحدّث الرّحالة عن عقود زواج كثيرة كتبها هو بنفسه، كما يقول بأنّ النّكاح حلال ويحرّم السّفاح، ويفصّل في شروط الزّواج وأركانه ويركّز كثيرا على الوليّ الذي هو أساس الأركان.

ألّف "ابن حمادوش" في مختلف العلوم منها الطّب والهندسة والفلك وهذا دليل على ثقافته الواسعة " وفي يوم الخميس عشرين من صفر ألّفت فتح المجيب في علم التكعيب وسببه أنّي كنت أطالع تأليفا في المساحة والهندسة"[2]

اشتهر الرّحالة بالعلم والمعرفة والطّب ومختلف العلوم بما فيها من الهندسة والفلك وهذا يدل على سعة أفكاره ومعارفه التي تطوّرت بفضل اجتهاداته والأخذ عن علماء هم شعلة العلم والمعارف التي رسمت له طريق الإبداع والرّفاهية.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص ص 244– 245.

[2]–المصدر نفسه، ص 265.

أمّا عن تأليفه في الفلك ذكر مجموعة من التّواريخ التي تعلّمها" وفي يوم الجمعة سادس وعشرين ذي القعدة ابتدأت تأليفا في غلم الفلك، جمعت فيه غريب ما أتعلّم،فمنها سبعة تواريخ فيه تعلّمتها وهي العزلي والمسيحي والإسكندري، وزدت فيه الفارسي والملكي والقبطي والعبري..."[1]

ركّز الرّحّالة على التّواريخ والسنوات وضبطها بدقة ووضوح،فرحلته ككل ترجمت قدرته على الإحاطة بالموضوعات المهمّة وسردها وكذا وصفها وفق منهج معيّن يختاره الرّحالة بنفسه. بالإضافة إلى تعليمه في البونيّة" إلى يوم السّبت حادي عشر ربيع الأوّل الموافق لثاني وعشرين مارس خرجت لباب الواد مع محمد ابن المبوثباجي لنتعلّم رمي البونية فتممت ما بقي لي، والحمد لله... وأنا من علمائها والحمد لله"[2] لقد اهتمّ الرّحّالة بالعديد من الأمور ونذكر منها كيفية رمي البونية، هذا أمر جعله يجتهد ويصبر حتى استطاع التفوّق والعمل أكثر وفق منهجية المتّبع.

أورد" ابن حمادوش" حادثين هامين في الجزائر، الأول الحجر الصحي الذي كانت تمارسه الجزائر على الحجّاج" وفي ثالث رجب الموافق آخر يوم من يوليه قدم علينا كمركب من اسكندرية بالحجّاج، وفيه الوباء، فمنعهم الباشا من الدّخول".[3] تحدّث الرّحّالة عن حادث وقع بصورة مفاجئة مما جعل الباشا يمنع دخول الحجّاج، وهذا رسم منعرجا حاسما في رحلته، حيث تطرّق إليها وفق منهج وصفي سردي، سرد ووصف فيه الحالة كما وقعت بمشاهدها الحيّة والمؤثرة.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 264.

[2]– المصدر نفسه، ص 254.

[3]–م. نفسه، ص 121.

أمّا الحادث الثاني تمثّل في توقيع الصلح بين الجزائر والدّنمارك"[1] ذكر الرّحالة أنّ الصّلح بين الجزائر والدّنمارك ولكنّه لم يذكر تفاصيل هذا الصّلح ولا يكفيه توقيعه.

يمكننا تقسيم ما كتبه عن المغرب إلى ثلاث وحدات: الحوادث والعادات والعلماء، وأهم حادث هو ثورة" أحمد الرّيفي باشا" تطوان علي السلطان عبدالله عام1156م، فهي تروي أحداثا مهمة استقاها من الواقع الذي عايشه،" فابن حمادوش" يعتبر نفسه شريفا ، فهو لم يقف موقف المؤيد تجاه" الرّيفي" في قوله:" وذلك أن الباشا أحمد بن عبد الله الرّيفي كثر ماله، وتجبّر في نفسه وطغى على عباد الله حتى قرّر المكوس كأنّها سنّة، ثمّ من تجبّره أراد أن يدّعي السلطنة لنفسه".[2] المغاربة في نظر" ابن حمادوش" شعب لا يُطيع إلا الشرفاء لذلك رفضوا دعوى" أحمد الرّيفي" الذي كان مصيره الهزيمة، وقد كان هذا الحادث فرصة ليهنئ" ابن حمادوش" السلطان بهذا الانتصار الذي رفع راية السلطان وأعلى من شانه، لأنّه حقّق انتصارا جعله يتميّز بالتّفوّق والانتصار.

يمكن القول إن الرّحّالة قام بوصف رحلته إلى المغرب ووصف العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية التي كانت تعبّر عن المجتمع الغربي والجزائري على حدّ سواء فرحلته هاته دامت خمس سنوات من الجِدّ والعطاء والتّرحال المتواصل حتى يصل إلى النتيجة المتوخّاة وهي إبراز قدرته الأدبيّة والعبقرية اللّامتناهية فهو رحّالة بامتياز يتميّز بميزات خاصة انفرد بها لوحده دون سائر الرّحالة، فرحلته كانت مميّزة لأنّه قام بوصف الوقائع والمشاهد كما شاهدها دون تحريف أو تحيّز

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص257.

[2] – أبو القاسم سعد الله،(الطبيب الرّحالة ابن حمادوش الجزائري) عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص 75.

فموضوعاته كانت في قمّة الأدبيّة بأسلوبه المميّز ومنهجه المتميّز ،وتلك الأخيرة كانت تصوّرا واقعا لابدّ منه، واقع معيش عاش فيه الفقير والغني وهذه نقطة تُحسب له لا عليه.

3- قيمة الرّحلة:

في نظر الدكتور" أبو القاسم سعد الله" أن لرّحلة" ابن حمادوش" قيمة عظمى لذلك أقدم على تحقيقها، وهي تكمن في كونها جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي كتب في العهد العثماني الذي تميّز بالركود والجمود والانحطاط. وما يدلّ أنّها قديمة" الجزء الثاني من رحلة لسان المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال مبدؤه من أوّل ليلة الاثنين فاتح عام 1156 عربيّة".[1] تعتبر الرّحلة موروثا شعبيا كونها من التراث العربي الإسلامي الذي لازال إلى يومنا هذا يحظى بالمكانة المرموقة.

تحفل الرّحلة بالمعلومات عن عصره سياسيا واجتماعيا، وعن معاصريه وأفكارهم وأخلاقهم ويظهر ذلك من خلال حديثه عن ملوك آل عثمان" أوّلهم السّلطان مراد خان 730، وخامسهم ابنه السّلطان محمد خان تولّى عام 804...".[2]

تعدّ مصدرا مهما لحياة المؤلف نفسه، بعد أن ضاعت مؤلّفاته فهي مرآة أسفاره وحياته ونشاطه العلمي وتفكيره، وما يدلّ على ذلك تدريس المؤلّف روضة الأزهار للطالب عبد الله جنّان" وكان الذي ابتدأت معه الروضة اسمه سيدي عبد الله من ذرية جنّان المكناسي، وكان مزاحا فصار يطلب أن لا أسافر حتى ينال من القراءة ما يريد".[3] الزّخم الوافر" لابن حمادوش"

---

[1]-- أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 23.

[2]-المصدر نفسه، ص 233.

[3])- م. نفسه ، ص 103.

من خلال أعماله الأدبيّة المميّزة يعتبر مصدرا ذو قيمة عظمى كونه يروي قصة حياته ورحلاته المتعدّدة إلى بلدان مختلفة كما اشتغل مهنة التّدريس.

بالإضافة إلى قراءة المؤلّف لمقامات الحريري وغيرها" وفي يوم الثلاثاء ختمت المقامات الحريرية التي كنت ابتدأتها في تطاون في بيتي، قرأت هناك سبع مقامات وكملت الباقي هنا...[1]. كان" ابن حمادوش" من الرّحالة المطّلعين على مؤلّفات أدبيّة مختلفة وبذلك كان واسع الثقافة والأدب.

تمتاز الرّحلة بروحها العلميّة "فابن حمادوش" كما لاحظنا كان كثير الاهتمام بالمسائل العلميّة" وفي ليلة الثلاثاء الثامن يناير ختمت المقالة الثالثة من إقليدس...[2] اهتم الرّحّالة بالمسائل العلمية فغلب على كتاباته الطّابع العلمي ودقّة الوصف والتّصوّر، فهو يركّز كثيرا على الدّقة والتفصيل،أمّا لغته فكانت علميّة لأنّه كان طبيبا وصيدلانيا وفلكيا.

بالإضافة إلى كتابه الجوهر المكنون في الطب" وفي يوم الاثنين أوّل يوم من ذي الحجّة ابتدأت تأليف الجوهر المكنون من بحر القانون، تأليف حسن في الطّب"[3] كانت" لابن حمادوش" تآليف متنوعة ومختلفة منها ما يتعلّق ومختلف العلوم الأخرى التي نبغ فيها وبيّن قدرته على الإلمام بكلّ الجوانب سواء العلمية أو الأدبيّة.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، ،،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 80.

[2]–المصدر نفسه، ص 161.

[3]– م. نفسه، ص 160.

كما تحفل الرّحلة بمادة عزيزة من أسماء الأماكن وبعض التّراكيب والمصطلحات المحلّية التي تزيد من قيمتها لدى الباحثين، وفيها طائفة من أسماء الأعشاب التي كان يدرسها ويتعلّم العلاج منها.

"وفي ثاني عشرة خرجت مع بعض الإخوان، أحدهم يعرف الأعشاب لنتعلّم منه، فتعلّمت الأفتمون، قطعنا منه ما شئنا في جبل بوزريعة[1] تمتاز الرّحلة بمادة علمية وأدبية مميّزة فيها جوانب عدّة سواء من ناحية أسماء الأماكن أو التراكيب أو المصطلحات المحلّية.

والنّقول التي أوردها" ابن حمادوش" من الكتب والوثائق تعطي لرحلته قيمة أخرى، ومن ذلك نذكر تقوّل المؤلّف من تاريخ الدّول للملطي" رأيت واطّلعت على كتاب الملطي في تاريخ الدوّل ولم أر مثله في التّراكيب العربيّة وأساليبها... وذكر فيه تواريخ العلماء والأطباء، فممّا نقلت منه تاريخ سابور بن سهل"[2] اهتمّ العلماء كثيرا بالنّقول التي أوردها" ابن حمادوش" والتي تشكل قيمة كبيرة رغم وجود بعض النقص من ناحية المحسّنات البديعيّة.

تميّزت الرّحلة ببعض الألفاظ العاميّة ويظهر ذلك من خلال استعمال بعض العبارات " إلى ليالة الأحد السابع منه باتت أمّي عندي،فأخذت تلوم سعدي حتى قالت يا ليتني لم ألدكم ذكورا لسوء سعدكم"[3] وهي كلمة تقولها النّسوة إلى اليوم في مدينة الجزائر مع بعض التّحريف وهذه المعلومات موجودة في الرّحلة وهي ذات أهميّة في نظرنا لدارس المجتمع الجزائري في القرن الثامن عشر.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 120.

[2]–المصدر نفسه، ص ص138، 139.

[3]–م.نفسه، ص 115.

رغم ضعف منهجيّة الرّحلة وكثرة الاستطرادات فأنّها ستبقى مصدرا لا يُستغنى عنه لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية للجزائر والمغرب، ذلك أن ما جاء فيها من أخبار اجتماعية كالعادات والتقاليد وإحياء المولد النبوي الشريف وليلة القدر يعتبر مادة أوّليّة بالنسبة للباحثين في القرن الثامن عشر.[1]

لم تكن الرّحلات مجرّد تجوال في الآفاق هدفه التسجيل الجغرافي ورصد المشاهد والعمران فحسب، بل كانت تلك الرّحلات مجالا رحبا للنواحي الفنية والجمالية والملامح الأدبيّة والأسلوبية والتحليل الدقيق الموسوعي لطبائع الشعوب من وجه آخر. وعلى الرغم من أنّ الرّحّالة لم يكونوا من أرباب الأقلام وصناعة البيان إلاّ مادّة الرّحلة اكتسبت شعبية وتناولا واسعا بين القراء على شتى المستويات، والدّراسة التي بين أيدينا تأتي أهميتها في كونها دعوة للقراءة الجديدة لعمال التراث القديم بصفة خاصة، وكونها دراسة تحليلية لأدب الرّحلات من منظور موسّع، وكون هذه الرّحلات إحدى المصادر المهمّة لإلقاء الضوء على الثقافة العربيّة في عصورها المختلفة.وهكذا يتّضح أنّه بالرّغم من بعض نقاط الضّعف فإنّ رحلة" ابن حمادوش" تتمتع بقيمة نادرة كجزء من التراث العربي الإسلامي للجزائر، وكمصدر لمعرفة الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية وكسيرة ذاتيّة للمؤلّف نفسه.[2]

هُمِّش أدب الرّحلة في الجزائر رغم قيمته الكبيرة، فظلّ في الدّرجة الأخيرة رغم أنّ هؤلاء سافروا كثيرا، وعرفوا شؤون الأمم وحضاراتها وتاريخها ومدنها، ومن الصّعب تحديد الأسباب

---

[1] – أبو القاسم سعد الله،(الطبيب الرّحالة ابن حمادوش الجزائري)، المرجع السابق، ص 78.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 79.

الحقيقية التي أدّت إلى اندثار هذا النوع، أو انمحائه رغم قيمته الكبيرة في إضاءة المتلقي بمجموعة من المعارف التي لا يستطيع الشّعر والسرد الإحاطة بها،وقد يكون هذا الخيار في سياقات أفضل من السّرد الرّوائي من حيث زاده وقدرته على توظيف الجغرافيا وحمولتها. أتصوّر ذلك أن يتحقق لاحقا، وسيتّجه الكتّاب على اختلاف أذواقهم إلى الاهتمام أكثر بأدب الرّحلة في فترات تتطلّب تلخيص التّجربة المرتبطة بالأسفار وتأثيراتها في طريقة التفكير والكتابة كما يفعل حاليا الشاعر أو الكاتب أو الرّحّالة، ربّما كان بعض إحجام الكتّاب عن الاهتمام بالأسفار ناتجا عن هيمنة الأجناس الأدبيّة الأخرى والتركيز على الكتابة السردية والشعرية من أجل الشهرة.

أتصوّر أن هذا العامل لعب دورا أساسيا في تهميش الرّحلة على عكس ما هو متعارف عليه في بلدان عربية أنشأت لهذا الجنس مخابر خاصة تهتم بأشكاله وموضوعاته ولغته وبلاغته.

ثانيا: أسلوب الرّحلة و مناهجها:

1- أسلوبها:

شاع في الدراسات الأسلوبية أن الأسلوب اختيار، فقد أشار " ماروزو" منذ 1931م إلى أن الأسلوب اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حيادها وينقلها من درجتها الصّفر إلى خطاب يتميّز بنفسه، وترجع هذه النّظرية إلى مقولة" إنّ أي فكرة من الأفكار يمكن إبلاغها بأشكال وكيفيات متنوعة" فشأن الأديب شأن الرّسام الذي يبدع لوحة فهو لا يخترع ألوانا لم يُسبق إليها، إنما يستعمل الألوان ذاتها التي يستعملها غيره، فيختار منها ما يناسب موضوع

لوحته ويمزج بعضها ببعض ويستعمل هذا اللون في هذا الموضع وذاك في غيره. كذلك الأديب فهو لا يخلق لغة جديدة بل هي بناء مفروض على الأديب من الخارج.[1]

والأسلوب مجموعة الإمكانات التي تحققها اللغة ويستغل أكبر قدر منها الكاتب الناجح أو صانع الجمال الماهر، فالأسلوب هو الطريقة أو الوجهة، وهو كل طريق ممتد لأن الصف في دلالتها يوحيان بالاستقامة والانسجام والتوازن، ويكمن اعتباره اصطلاحا الطريقة التي يعبّر بها المرء عن أفكاره في استخدام اللّغة بشكل خاص.[2]

الحقيقة أن مفهوم الأسلوب اختيار قديم في تراثنا البلاغي فقد خاض فيه علماء البلاغة وتعرض في هذا المقال بإيجاز لعلمين متميّزين هما:" ابن طباطبا" و"عبد القاهر الجرجاني".[3]

يمتاز أسلوب الرّحلة بالسلاسة والتتابع، فهو ينتقل من فكرة إلى فكرة، ومن فاصل زمني إلى آخر، كدخول عام كذا وأوّله هو يوم كذا، فهو يكتب دون سجع ولا نلمس محسّنات بديعيّة رغم وجودها في ذلك العصر سواء أكانت اللفظية أو المعنوية" وفي يوم الخميس الموالي له ذهبت لزيارة سيدي علي الرّيفي راجلا فقطعت واد الكتّان إلى أنصاف فخذي، وهو واد عظيم من أفضل المياه، فبلغت له ضحاءً فلقيني خادمه وسلّم عليّ وأدخلني قبة قبر الشيخ فأجلسني عنده وذهب فبقيت إلى قرب الزّوال...".[4]

---

[1] – ينظر، محمد بن يحي، السّمات الأسلوبية في االخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1 2011، ص 36.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 36.

[3]– ينظر، م. نفسه، ص 37.

[4]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش)، (المصدر السابق) ،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 33.

وفي نموذج آخر" فدخلت تطوان وصلّيت الظهر بها مع الجماعة ثم ذهبت إلى بيتي وكنت أنظم قصيدة لأدفعها للشيخ امحمد البناني ففي يوم السبت دفعتها له حين افترقنا من قراءة البخاري.[1] ما لوحِظ من خلال هذه النماذج أنّها عبارات بسيطة وغير متكلّفة ومسرودة بطريقة مفصّلة جدا حتى أبسط تفصيل نجده مذكورا ربّما هذا المر يجعله متفرّدا عن بقيّة الكتّاب الرّحّالة الآخرين.

يبدو أنّ أسلوبه علمي لدقّته وذكره للأحداث بالتفاصيل هذا ما جعل من الرّحلة تبدو كتابتها عادية جدا لعدم وجود بعض الانسجام والتناسق الجمالي، لأن الأسلوب الجمالي يضفي على الرّحلة أو الكتابة رونقا تروق له أذن السّامع ويتشوّق لقراءتها، فالجانب الجمالي يلعب دورا مهما في الكتابة الأدبيّة كما أنه لم يستعمل العبارات المتكلّفة، إلاّ نادرا وذلك في مقاماته وفقط وقد تكون من دواعي تأليفه هي تدوين أخبار رحلته على منوال ما دوّنه السابقون من الرّحّالين والأعلام البارزين في هذا الفن أمثال: المسعودي والمقدسي وابن جبير وابن بطّوطة.[2]

قام الرّحّالة بتدوين مذكراتهم وفق أخبار ومشاهد وأوصاف وتعليقات وملاحظات موجزة ثمّ عمدوا إلى تهذيبها وصوغها بأسلوب جميل، إما في أوقات الراحة وذلك أثناء السفر وإمّا بعد الرجوع منه، ويشرع الرحالة المغامر أحيانا في سرد حكاياته وقصصه ومغامراته، وقد اعتمد الرحالة العربي على النظر فيما يكتبه ويرويه كما اعتمد على السمع ومطالعة الكتب والأخبار "فابن حمادوش" كان كثير الاستطراد وهو في غير محلّه كإيراده بعض النوازل الفقهيّة للدلالة على قدرته واستخراجه للأمور العويصة التي يمكنه المساهمة في حلّها، وكذا خروجه

[1]– أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش)، (المصدر السابق)، ص 33.

[2]– ينظر سميرة أنساعد،(الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري)، المرجع السابق، ص 36.

عن الموضوع وهذه نقطة حساسة يعبر عنها بالنّادرة والنازلة والحادثة الغريبة وغيرها، بل هي قريبة من العاميّة"... وألقى بعض أصحابنا كانوا نزلوا في الفلوكة، قبل ذلك ألقوا أرجلهم في البرّ لمعنى ثلاثة: أدراج من غروب شمس ليلة الأحد"[1] فالجانب الذي لوحظ في هذه الرّحلة هو استعماله للعامية التي طغت على الرّحلة نوعا ما، مع وجود جانب أدبي بالتأكيد وهذا لا ينكره جاحد.

كما تحدّث عن وفاة صديقه مستعملا العاميّة في حديثه" ... وصلّيت عليه غماما مع الجماعة كلّهم بعد صلاة العشاء، ونزل معه مُغسل وآخرون من النصارى في الفلوكة إلى أن بعدوا عنّا وربطوا معهم شكارة من رمل فثقّلوه بها وألقوه في البحر وأتوا"[2] ارتبطت رحلة" ابن حمادوش" بالعاميّة كونه وظف المصطلحات بالعامية وذلك حتى يفهمها القراء، فلكل ومستواه الفكري والتعليمي، فهو يختار الكلمات المعبّرة الموحية التي تؤدي معناها كما يجب وتصل بالقارئ إلى إقناعه وتطوير ذهنه والكشف عن خبايا رحلته وما ترمز إليه.

يمتاز" ابن حمادوش" بالموضوعية في أحكامه ذلك لأنّه ذكر بعض أخبار الولاّة الجزائريين دون تحيّز مع ذكر الخبر كما سمعه، ومع ذلك فإنه أشار إلى تاريخ باشاوات الجزائر" لأن أوّل من انفرد بالملك والرياسة في الجزائر عبد الله بلك باشي 1064 ثم تبعه في ذلك كال محمود بلك باشي 1065..."."[3] فقد كان الرحالة موضوعيا إلى حد كبير كونه لم يكن منحازا إلى جهة ما بل أعطى رأيه وبيّن موقفه بكل جرأة.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش)، (المصدر السابق)، ص 31.

[2]– المصدر نفسه، ص 31.

[3]– م . نفسه ، ص 225.

كما وُجِد التكرار الذي يتمثّل في وصف حالة الثائر" أحمد الرّيفي" وقصيدته في مولاي عبد الله فقد ذكر هذا المعنى مرّتين" فدخلت تطوان وصلّيت الظهر بها مع الجماعة ثم ذهبت إلى بيتي وكنت أنظم قصيدة لأدفعها للشيخ" امحمد البنّاني"" ففي يوم السبت دفعتها له حين افترقنا من قراءة البخاري..."."[1] كان الرّحّالة كثير الترحال ووصف الوقائع كما شاهدها بكل تفصيل دقيق فيها دون نسيان الوقت فهو ركّز بالدرجة الأولى على التاريخ بالتفصيل وذكر الوقائع لحظة بلحظة دون تخطي الحواجز.

وظّف الرّحّالة التكرار في سرد رحلته وهذا جلي في تعلّمه للأعشاب" وفي ثاني عشرة خرجت مع بعض الإخوان أحدهم يعرف الأعشاب لنتعلّم منه فتعلّمت الأفثمون"[2] ربّما التكرار يشكل همزة وصل بين الرّحالة ورحلته، فذلك الخير يعتبر تأكيدا للوقائع، فهو يكرر باستمرار بعض المواضيع التي عالجها في رحلته المميّزة.

وما تجدر الإشارة إليه توظيف الرّحالة للتكرار بصورة واسعة"وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني خرجت مع سيدي محمود، وكان عشّاب بلدنا لنتعلّم منه العشب فتعلّمت ما تيسّر... فالحمد لله على ذلك فإن الأعشاب المفيدة في تأليفي كلّها معروفة عندي. فاليوم الحمد لله أنا عشّاب وصيدلاني وطبيب في بعض الأمراض"[3] تكراره الكبير أدّى بالرّحلة تبدو وكأنّها تحتوي على الإطناب، لما فيها من تكرار للجمل أو العناوين والموضوعات المدروسة.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص ص 33– 34.

[2]– المصدر نفسه، ص 120.

[3]– م. نفسه، ص 164.

تطرّق الرّحالة إلى تكرار لفظ قراءة البخاري" وفي يوم الاثنين وقفنا على كتاب الصلاة وفي يوم الثلاثاء وقفنا على باب وقت العشاء إذ اجتماع الناس، وفي يوم الأربعاء وقفنا على فضل اللهم ربنا ولك الحمد وهو آخر يوليه... وفي يوم الاثنين على كتاب الزكاة، وفي يوم الثلاثاء وقفنا على باب من لُبَا، وفي يوم الأربعاء وقفنا على أبواب العمرة".[1] تحدّث الرّحالة كثيرا على تكرار لفظ قراءة البخاري وهذا تأكيدا على أهميته ومكانته، وذكر أيضا الفرائض منها الصلاة، كما ذكر وقت العشاء. ويؤمن بفضل الله على عباده، ويولي هذا الأمر أهمية كبرى.

ويعود إلى قراءة البخاري" وفي يوم السبت وقفنا على كتاب القدر، وفي يوم الأحد وقفنا على كتاب الكفّارات. وفي يوم الاثنين وقفنا على كتاب المحاربين. وفي يوم الثلاثاء وقفنا على كتاب الدّيات"[2] ما نلحظه من خلال رحلة" ابن حمادوش" أنه ذكر البخاري وما احتواه من موضوعات منها: وقوفه على كتاب المحاربين وكتاب القدر، هذا دليل على أن الرّحالة يؤمن بالقضاء والقدر.

يعمد الرّحالة إلى تضمين الرّحلة بعضا من آيات القرآن الكريم ويرون في ذلك تأكيدا لكلامهم، كما يشير في الرّحلة إلى السرد والوصف وذلك من أجل إضفاء الحيوية وإبعاد الملل وإثارة التشويق لدى القرّاء" وفي يوم الخميس السادس والعشرين ألّفت المقامة الحالية الحمد لله محوّل الأحوال ومرخي البال، ومقلّب الأمور في الدّهور والصلاة والسلام على خير الأنام، المبشر بالفرج بعد الشدة، والمنذر بالعناء بعد اللذّة، فقال تعالى:﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا ، **إِن مَعَ الْعُسْرِ**

---

[1]–أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 217.

[2]– المصدر نفسه، ص 219.

يُسْرًا﴾[1] طغى النمط السردي وكذا النمط الوصفي على الرّحلة والتي تشبه يوميات أحد الرّحالة الذين ساروا في هذه البلاد وسردوا مشاهدهم بكل موضوعية وطلاقة، فرحلته وظّف فيها المقامة وهي جنس أدبي يحتوي على السجع والطّباق وهذا ظاهر في قوله: الفرج≠ الشدّة، العسر≠ اليسر فالحياة مبنية على التناقضات والتطابقات.

وفي مقامة أخرى له" الحمد لله، طحى بي ضيف الأسباب، وهوى الاكتساب إلى أن خطوت من شدّة اليأس، إلى بلاد الملك مكناس أخوذ الغمار لأجتني الثمار، وأقتدم الأخطار، لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء، ووصايا الحكماء، أن الخطر غرور وأن المسافر مبرور..."[2]، اتّبع الرّحالة في كتابة رحلته طريقة السجع التي كانت شائعة في عصره وذلك لإضفاء نوع من الصياغة الجمالية بلمسة أدبية، ذلك أن النفوس تملّ الجدّ وحده ولابد من الهزل أحيانا ليكون مدعاة النشاط والتسلية، فالسجع أخذ المحسنات البديعية التي طغت على مقامة" ابن حمادوش" وهي جليّة في قوله: أخوذ الغمار لأجتني الثمار، وأقتدم الأخطار.

إنّ ما تركه الرّحّالة من كتابات قد احتوى على الكثير من الملامح الأدبيّة والنواحي الجمالية التي برزت في اختيار الألفاظ وحسن الأسلوب، وجمال التعبير، ولهذا افتتحت كتابات الرحّالة مجالا للتحليل الأدبي، إضافة إلى كونها سجلا مهما يحتوي معلومات أهم، ومع ذلك فقد اكتسبت مادة الرّحلات بصفة عامة شعبية وتداولا واسعا بين القرّاء[3] فأسلوبه في الرّحلة بسيط جدّا ويقرب من العامية فكثيرا ما يسوق الجملة سوقا عاميا لا يخضع لقواعد الإعراب وهذا ما جعل

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)،(المصدر السابق)، ص 164.

[2]– المصدر نفسه، ص 71.

[3]–ينظر، سميرة أنساعد،،(الرّحلة إلى المشرق)، المرجع السابق، ص ص 45– 46.

الحركات تختفي أحيانا خصوصا بالنسبة للفاعل والمفعول به والتمييز، ولم يستعمل السجع والعبارات المتكلّفة إلاّ في مقاماته القليلة حيث وظّف الطباق والسجع حيث يضفي عليها جمالية أسلوبية يروق لها ذهن القارئ.[1]

ولتحقيق الوضوح الأسلوبي يستلزم أمرين: أوّلهما: الدقة ووضوح الفكرة فيجب أن تؤدى كما هي، ومن جملة القوانين التي تساعده على تحديد الدّقة والأفكار هي اختيار الكلمات المعينة والتي تدل على الفكرة كاملة وكذا الاستعانة بالعناصر الشارحة أو المخيّلة واستعمال الكلمات المتضادة المتقابلة المعاني وشرط ذلك عدم الإيغال، والعمد إلى لغة الناس وما يستطيعون إدراكه وذلك يختلف باختلاف العصور وطبقات النّاس، وثانيهما قوة الأسلوب والغرض من تلك الأخيرة هو إيقاظ عقل القارئ وعواطفه وأخيلته لتدرك المعاني وتحظى بمتعة جديدة، ولتحقيق القوة الأسلوبية يجب توفير عنصرين أهمهما قوة الصّورة وذلك بتمكن الرحالة من استعمال الكلمات المألوفة وتحاشي الكلمات الضعيفة والعناصر الثانوية في العبارات. أمّا العنصر الآخر فهو قوة التركيب وهي الدلالة على المعاني والكلمات المهمّة بوسيلة ليست صوتية وذلك بوضع كلماتها حيث تكتسب عناية وانتباه القارئ.[2]

[1] – ينظر، أبو القاسم سعد الله،(الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري)،المرجع السابق، ص 60.

[2] – ينظر، محمد بن يحي، المرجع السابق، ص 136.

2- مناهجها:

2-1- المنهج التاريخي:

يُعد المنهج التاريخي أول المناهج النقدية في العصر الحديث وذلك لارتباطه بالتطوّر الأساسي للفكر الإنساني وانتقاله من مرحلة العصور الوسطى إلى العصر الحديث. وهذا التطور يتمثل على وجه التحديد في بروز الوعي التاريخي حيث اعتبر المنهج دليلا جازما على أنّ " ابن حمادوش" كان يكتب مسوّدة رحلة ويؤكد هذا الرأي" الكتّاني"على أنّها مكتوبة بخط المؤلف نفسه ولم يكن مضمونها منسجما ومتناسقا باستثناء قسم المغرب مع وجود تسلسل زمني بين أجزاء الرّحلة فهو اتبع طريقة تسلسل وتتابع السنوات، وكل رحلاته كانت عبارة عن أحداث ووقائع شاهدها وربما طرائف تعرّض لها بالصدفة وهذا أمر وارد. وما لوحِظ كذلك بخصوص كتابته لرحلته طغيان النمط السردي، فهو كان يسرد كتاباته مع شيخه" ابن ميمون" كما تحدّث كذلك عن أشياء أخرى من باب الصدفة ودليل ذلك هو ذكره لولاة الجزائر وربما لوجود علاقة بين هؤلاء وبين شخصه، وما نستنتجه هو أن المحور الأساس في رحلات" ابن حمادوش" وبين شخصه ما عداه عارض أو يأتي في الدرجة الثانية.[1]

اعتاد" ابن حمادوش" أن يؤرخ حوادثه بالتاريخ الهجري" العربي" وغالبا ما يضع إلى جانبه التاريخ المسيحي" الشرقي أو الفلاحي" ونادرا ما يؤرخ أيضا بالتاريخ الإسكندري" الجزء الثاني من رحلته لسان المقال"" مبدؤه من أول ليلة الاثنين فاتح عام الموافق رابع عشر فبراير ثاني شهوره

[1]- ينظر، أبو القاسم سعد الله، (الطبيب الرّحالة ابن حمادوش الجزائري)، المرجع السابق، ص 58.

سنة 1743م مسيحية وخامس شهر سنة 2054 إسكندرية".[1] تركيزه كان كبيرا على التواريخ والسنوات وهي نقطة اهتم بها وأصبحت سمة يختص بها.

وقد ينسى" ابن حمادوش" التاريخ الدقيق فيعود إلى كنّاشه فلا يجده، فيقوم بتسجيل الأحداث كما وجدها، فعندما كان عائدا من فاس إلى تطوان أراد تسجيل ساعة الدخول إليها" أنه دخل تطوان يوم الأربعاء قريبا من العصر أو بعده، يوم الأربعاء بل مع غروب الشمس وجدته مقيّدا..."[2] قام" ابن حمادوش" بوصف رحلته وفقا للترتيب الزمني، ركّز الرحالة على التواريخ لأنّها تمثل سير الزمن التي لطالما سردها ووصفها وفق زمن معيّن، فالتاريخ بالنسبة للرّحالة يمثل منهجه الخاص الذي بنى عليه رحلته الطويلة.

أثناء خروج الرّحّالة من مدينة فاس نسي التاريخ الدّقيق، فذكر الأحداث كما وقعت ولكن ليس في وقتها المحدد" وخرجت من فاس، اكتريت بهيمتين من الأبغال بسلطان ذهبا لكل واحدة إلى تطوان، فظللنا سائرين إلى آخر النها، نزلنا في دوّار عرب بين وادين يقال بوشابل، سرنا النهار كلّه إلى العشية، بل قبل الظهر أو قريب منه..."[3]، تحدّث عن رحلته الطويلة نقطة بنقطة من لحظة كرائه لبهيمتين من الأبغال إلى غاية وصوله إلى دوّار عرب، فهنا نلحظ عدم تقيّده بالوقت تحديدا مع استعماله للمصطلحات العامية التي برزت بصفة كبيرة في رحلته ومسيرته الكاملة.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 29.

[2]– المصدر نفسه، ص 99.

[3]–م. نفسه، 98.

وتكرّرت معه هذه الظاهرة حيث أنه لم يتقيّد بالوقت بالضبط وهذا جلي وواضح أثناء توجهه إلى فاس" وصباح الخميس خرجنا ضحى من مكناسة في قافلة عظيمة، ومعها ثلاث برابر... فسرنا السّير الحثيث حتى دخلنا فاس، بعد صلاة المغرب بكثير، ونزلنا في فندق النّجارين...[1]، وصف خروجه من مكناس متوجها نحو مكناس وذلك أثناء صلاة المغرب بوقت طويل، ووصف نزوله في أحد الفنادق في وقت متأخر من الليل.

اعتمد على كثرة التواريخ وذكرها بدقة متناهية" وفي سادس عشرة، موافق أول يوم فصل الصيف ابتدأت نسخ كتاب الجدل، وفي عشرين منه تممت شرح الجدل وفي حادي وعشرين منه ابتدأت كتاب النجاح "لابن سينا" في المنطق، وفي ثالث وعشرين منه تممت كتاب الجدل للسّمرقندي، وفي سادس وعشرين منه تمّمت كتاب الأحكام والطّلاسم لابن البنا وفي اليوم الذي بعده تمّمت كتاب أبي معشر في كردفر"[2] ذكر التاريخ وتفصيله له جعل من الرّحلة رحلة زمنية كأنّها رحلة عبر الزمن الطويل المتواصل الذي يرسم طريق البشر وفق مسار مستمر في هذه الحياة.

2-2- المنهج الوصفي:

يرى عمر بن قينة في مؤلّفه(الأدب الجزائري الحديث) أنّ الرّحلة العربيّة تميّزت بأسلوب وصفي إذ نجد الرّحلة يصف ما شاهده من معالم، وما انفعل به وصفا عاديا، أو وصفا مليئا بحرارة التفاعل ذلك لا يعتمد على مجرّد القراءة أو السّماع أو الاستنتاج، ففي وصف المدينة نجد

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 80.

[2]- المصدر نفسه، ص 120.

" الأغواطي" يذكر المادة التي تبنى بها الدّور فبعضها من طين فقط وبعضها من طين غالبا ومن حجر قليلا، كما يحدّد لباس السّكان وطعامهم وبشرتهم ولغة الحديث وممارسة العقيدة وشكل العادات والتقاليد.[1]

أكثر" ابن حمادوش" من الوصف نتيجة للمشاهد التي صادفها ومنها وصفه لثياب بلاد المغرب والجزائر" ثمّ إنّ البلاد فرحت كلّها وازّينت يوم الخميس، إلا أنهم زيّنتهم بثياب ملبوس النساء يعلقون القفاطين والمحارم وغيرها من خروم حرير وما تيسّر بخلاف زينة بلادنا ومن غريب ما رأيت فيها اللوح الداخل قبة مولاي إدريس، وكذا ألواح قببها كلّها، ومن غريبها قسمة مياهها حتى تعقم البلاد كلّها من بساتين ودور وغيرها، من أقبح ما في المغرب كلّها حماماتهم ويبدو عوراتهم فيها، ومنها نحو ربع البلاد جنان معروشات، وصنعنا مترفي جنة منها أصل مساحته أربع مائة دار، وفيها ثلاثة جداول ماء أحدها كبير قمنا فيه سبعة أيّام بسبع شياه... ومنها أنّ عاداتهم يأكلون في يوم العنصرة هشيم أذناب الضأن بالقرفة والكسكس، وهذا أكل غالب أهل فاس وأما البراني فلا أدري"[2].

وصف المشاهد والوقائع الحاصلة آنذاك، بما فيها وصفه للباس والأطعمة وكل العادات المأثورة هناك، فكان ملمّا بكلّ الجوانب متّبعا في ذلك المنهجين الوصفي والسّردي من أجل إعطاء نموذج راق لرحلته المميّزة، فتلك العادات كانت غريبة بالنسبة للرّحالة كونه لم يشاهدها من قبل. فالمشاهد

[1]– ينظر، عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 113.

[2]– أبو القاسم سعد الله، (رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق) ، ص 94.

العربيّة شكّلت منعرجا حاسما في رحلة" ابن حمادوش" والتي تحدّث عنها بصورة معمّقة وبتفصيل دقيق، فرؤيته لتلك الأمور جعلته يندهش كثيرا ويسرد وقائعها بكلّ جرأة وموضوعية.

كما وصف لبس النّساء لعمائم الرّجال دون تحرّج من ذلك" ومنها أن رجالها يتعممون إلّا القليل، وأن نساءها لهن عمائم كبار، إما من حرير فثمانية عشر ذراعا بذراع ابن آدم المعلوم في الأسواق وأكثر، إما أبيض أو نصفه زُبيبي ونصفه عكري، أو يتعممون بالشّاش االهندي أو بالشقّة الجيّدة المصري، وبهذا كان يمازح شيخنا سيدي محمد بن ميمون."[1] من المتناقضات الموجودة في بلاد المغرب هو لبس الرّجال ثياب النّساء، والنّساء بدورهن يلبسن عمائم الرّجال دون إيجاد حرج في ذلك، فالتناقض الكبير جعل من هذا الرّحالة يسرد هذه الحادثة الغريبة في بلد التناقض والتداخل.

كما أنّه وقف على ذكر الغرائب التي رآها في الطّريق بين تطوان ومكناس، ومن هذه الغرائب نذكر أنّه وجدهم يحصدون الشعير في خامس أبريل، ورأيتهم يصطادون السّمك والطّير والبيض ويعتادون عليها من ناحية إلى أخرى ويحملون عليها أحمال الزّرع وغيره وهي من حزم البرد..."[2] غريبة هي الحياة يوجد أبطال يحصدون الشّعير ويصطادون البيض، هذا الأمر جعل من الرّحالة مبدعا بامتياز، فهو يذكر أمورا لا تكاد تصدّق، فبفضل هذه الغرائب العجيبة والتي هي المحور الأساس أضفت على الرّحلة نوعا من الهزل والفكاهة التي يبحث عنها القارئ، فالجِدّ أحيانا يكسب الرّحلة جدّية كبيرة والتي تُولّد الملل والرّكود.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 94.

[2]– المصدر نفسه، ص 74.

وصف الّرحالة وفاة صديق له" ابن مبارك" فبقي كذلك والمرض يزداد حتى ظهرت في فخذه حبة، وحمرة في ساقه فتعيّن وباء في ليلة الجمعة، مواقف يوم العنصرة قبل طلوع الفجر بنحو ساعة أو أكثر فيما قيل مات، رحمة الله عليه، فغُسِّل وكُفِّن وصنعت عليه قبّة فوق النّعش كما يُفعل بالنساء، فحُمِل إلى جامع القروين، فصلّى عليه قاضي الوقت، وهو من تلاميذه، وهو الإمام بعد صلاة الجمعة، وحمل إلى خارج باب الفتوح فدُفِن في قبة فيها قبر سيدي عبد العزيز الدباغ الشّريف، كان من أولياء الله الصّالحين، وحضر جنازته خلق كثير... نسأل الله أن يوفّقنا لصالح الأعمال والأقوال، وبالله التوفيق"[1] وصف الرّحالة ما كان يعانيه صديقه مع المرض والانتكاسات التي تعرّض لها حتى وافته المنيّة فوصف بذلك جنازته المهيبة، وما حدث فيها من وقائع وأحداث ذات أهميّة كانت مصدر اهتمام في ذلك الوقت بالنسبة للجمع الذي كان حاضرا هناك.

وفيما يخص المنهج الذي سلكه" ابن حمادوش" في هذه الرّحلة قال عنه" أبو القاسم سعد الله"– رحمه الله– كان يكتب مسودّة رحلة ويؤكد هذا الرأي" الكتّاني" بأنّها بخط يد المؤلّف نفسه ذلك أن محتواها غير منسجم وغير متصل، فالرّحلة كانت متنوعة ولم يلتزم الرّحالة منهجا معيّنا بل قام بسرد الأحداث فيها تبعا للتسلسل الزمني كما أكّد" أبو القاسم سعد الله" أنّها جزء من تراث الجزائر والمغرب وقد كتبت في العهد العثماني، وهي وثيقة مهمة للباحثين بغض النظر عن ضعف مستواه آنذاك وعن عادات الناس وأفكارهم وأخلاقهم وأذواقهم وطبائعهم.[2]

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق) ، ص ص 86– 87.

[2]– ينظر، أبو القاسم سعد الله،(الطبيب الرّحالة ابن حمادوش الجزائري)، المرجع السابق، ص 58.

أما المنهج الوصفي يُعنى بجميع الدّراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة جماعة من النّاس أو نظام فكري،" فابن حمادوش" اعتمد على دراسة الظاهرة كما وجدها في الواقع، فقام بوصفها وصفا دقيقا،وعبّر عنها كيفيا وقام بتوضيح خصائصها وإعطائها وصفا رقميا من خلال أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.[1]

تنوّع أسلوب الرّحلة من السّرد القصصي إلى الوصف، فإنّ أبرز ما يميّزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمدة على السّرد المشوّق للأحداث والوقائع دون تحيّز بما يقدّمه من متعة ذهنيّة وفكريّة كبرى.

[1]– ينظر، أبو القاسم سعد الله، (الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري)، المرجع السابق، ص 59.

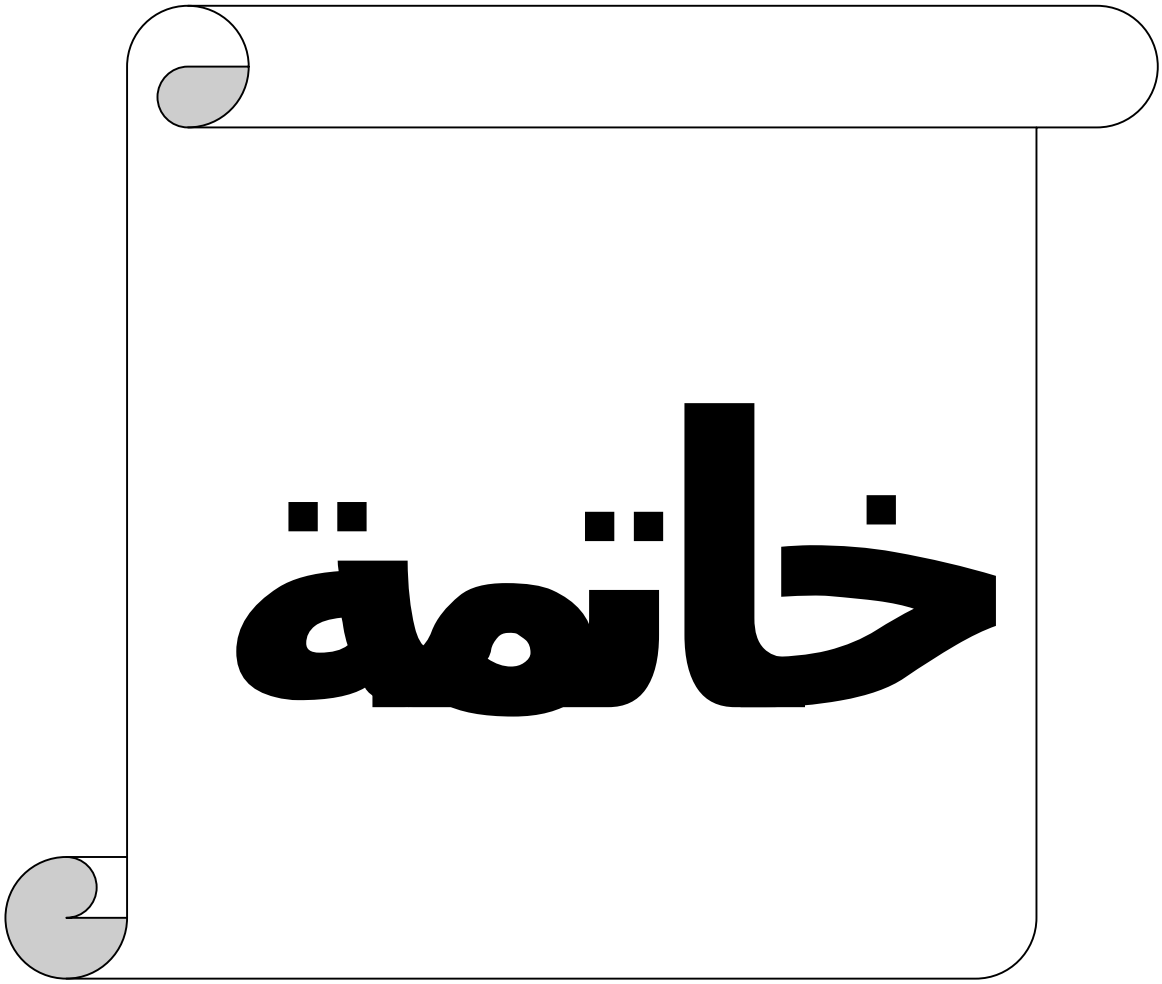
خاتمة

خاتمة

نحمد الله ونشكره على تمكننا من إتمام هذا العمل فمن خلال العناصر التي تطرّقنا إليها في أدب الرّحلة جعلتنا نكتشف ما مدى أهمية هذا الموضوع وقيمته في الأدب العربي وذلك من نواحي مختلفة سواء كانت هذه الخدمة من الناحية الأدبيّة أو التاريخية أو الجغرافية، فقد كانت بمثابة الخريطة التي أعانت الجغرافي في معرفة مختلف الأقاليم والمسالك دون أدنى جهد أو تعب لأنّه نقلها عن الذي اتصل بالظواهر الجغرافية اتصالا مباشرا.

* الرّحلة هي سرّ وحدة البشر، والجسر الواصل بين مختلف الشعوب والأقوام، فكيف كان لنا أن نتعرّف على حضارة شعب ما لولا تلك الرّحلات التي قام بها مغامرون صناديد شغوفين بحب العلم والمعرفة والاكتشاف تاركين حياتهم في سبيل الغوص في فضاء خلق الله واكتشاف أسراره فبفضلهم استطاع الإنسان المكوث في بيته والحصول على كلّ ما يرغب به، وأن يرى كل مكان في الأرض أو في السماء أو في أعماق البحار والمحيطات.

* الرّحلة حافز كبير لبناء شخصيّة قوية، وهذا من خلال التّجارب القاسية وحرارة المواقف وصعوبة المغامرة التي يمرّ بها الرّحالة.

* كانت الرّحلة بكافة صورها ومشاهدها وأغراضها إحدى الرّكائز الإنسانية في بناء الحضارة العربيّة الشامخة.

* كما أنّها اعتبرت وسيلة لإثارة تلك الرّغبة التي يعتليها التفوّق والطموح إلى السّيادة.

* لولا الرّحلة ما كنّا لنسمع عن "ابن بطوطة" أو "ابن خلدون" وغيرهم كثير، فمن النّادر أن نجد أديبا أو عالما لم يرتحل أو لم يسبق له أن خاض مغامرات صقلت مواهبه.

خاتمة

*تعتبر رحلة "ابن حمادوش" قطعة مهمّة من تراث الجزائر الوطني خلال القرن الثامن عشر كتبت في العهد العثماني الذي تميّز بالركود والجمود.

*تضم الرّحلة وثائق لا غنى عنها للباحثين في التاريخ الاجتماعي والأدبي والدّيني .

* تحفل الرّحلة بالمعلومات عن عصره سياسيا واجتماعيا وعن معاصريه.

*تعدّ مصدرا مهما في حياة المؤلف بعد أن ضاعت مؤلفاته فهي مرآة أسفار ونشاطه العلمي.

*تمتاز الرّحلة بروحها العلمية.

فلا يسعنا إلاّ القول أنّ الرّحلة تأخذ قارءها وتغوص به في أعماق هذا الكون مكسبة إياه الخبرة والمعرفة .

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

أوّلا: المصادر:

1. ابن بطوطة محمد ابن عبد الله، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، د ط، 2001.
2. ابن بطوطة، مهذّب رحلة ابن بطوطة، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2001.
3. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج 1، موفم للنشر+طبع المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة د ط، الجزائر" الرغاية"، 1999.
4. ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2001.
5. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، مج 3، ج 18، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.
6. أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة" لسان المقال في النّبأ عن النّسب والحسب والحال"، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 1983.
7. الطهطاوي رفاعة رافع، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، موفم للنشر+ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر" الرغاية"، 1991.
8. عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 9، 2006.

9. علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق إسماعيل عبد الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، ط 1، 1938.

10. علي بن الحسين المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، ج 1،دون نشر، ط 5، 1963.

11. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط 2، بيروت، 1944- 1984.

12. ياقوت الحموي شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج 2، دار صادر، د ط، بيروت، 1977.

ثانيا: المعاجم:

1. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط 1، 1971.

ثالثا: المراجع العربيّة:

1. أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج 2، دار الغرب الإسلامي، ط 2 بيروت، 1990.

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، ج 2 المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط 2، 1985.

3. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، عالم المعرفة، الجزائر طبعة خاصة، 2011.

4. أحمد رمضان أحمد، الرّحلة والرّحّالة المسلمون، دار البيان العربي، جدّة، د ط، د ت.

5. أسماء أبو بكر، ابن بطوطة: الرجل والرّحلة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992.

6. بشرى محمّد صالح، الصّورة الشّعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي ط 1، الدار البيضاء(بيروت، المغرب)، 1944.

7. حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق: دراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، د ط 1980.

8. حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة عالم المعرفة رقم 138، الكويت، د ط، 1989.

9. حسين نصّار، أدب الرّحلة، مكتبة لبنان+ الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر " لونجمان" ط 1، 1991.

10. خضر موسى محمد حمود، أدب الرّحلات وأشهر أعلام العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2011.

11. رحاب عكّاوي، أمين الريحاني الأديب الرحالة، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 2005.

12. زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت د ط، 1981.

13. سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرّحلة، صورة الآخر في أدب الرّحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة+ منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء" المغرب"، ط 1 1995.

14. سميرة أنساعد، الرّحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الهجريين(ق 17، 19)، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر ط 1،2011.

15. سميرة أنساعد، الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري" دراسة في النشأة والتطور والبنية" دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009.

16. سيّد حامد النساج، مشوار كتب الرّحلة" قديما وحديثا"، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، د ت.

17. شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التجنيس... آليات الكتابة خطاب المتخيّل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006.

18. شوقي ضيف، الرّحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1979 .

19. صلاح الدين علي الشامي، الرّحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 2، 1999.

20. عبد الحكيم عبد اللّطيف الصعيدي، الرّحلة في الإسلام(أنواعها وآدابها)، مكتبة الدار العربيّة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1992.

21. عبد الرحيم مؤدن، الرّحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار الأهلية للنشر والتوزيع د ب، ط 1، 2006.

22. عبد الله كروم، الرّحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر، دحلب، د ط، 2007.

23. عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة للطباعة والتوزيع لبنان، ط 2، 1982.

24. عبد الهادي النازي، ابن بطوطة أمير الرحالة، الدار العربيّة للطباعة والنشر، الكويت ط 1،2002.

25. عبد الواحد ذنون طه، الرّحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، الكويت، ط 1، 2005.

26. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا وأنواعا وقضايا وإعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر" بن عكنون"، 1995.

27. عمرو عبد العزيز، أشهر الرّحلات العربيّة، دار طيبة للطباعة، مصر" الجيزة"، ط 1 2010.

28. عواطف محمد يوسف نواب، الرّحلات المغربية والأندلسية: مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 7 و8هـ، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة فهد الوطنية، الرّياض، د ط 1996.

29. فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربيّة للكتاب، القاهرة، ط 2 2002.

30. محمد السيّد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر، ثقافته وآثارها في أدبه، وزارة الثقافة للنشر والطباعة، الجزائر، د ط، 2007.

31. محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 2011.

32. محمد محمود محمّدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي للنشر الرياض، ط 2، 1996.

33. محمد مصطفى زيادة، مقدمة لرحلة ابن حمادوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط د ت.

34. محمد يوسف نجم، فن المقال، دار الثقافة، بيروت، د ط، 1966.

35. مصطفى عبد الغني، من أدب الرّحلات، مشرق ومغرب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ط 1، 2007.

36. الموسوعة العربيّة العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة، مج 11، المملكة العربيّة السعودية ط 2، 1995.

37. مولاي بالحمليسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ،1981.

38. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، كلية الآداب،مكتبة الوفاء، جامعة مصر، القاهرة، ط 1، 1990.

39. نقولا زيادة، الجغرافيا والرّحلات عند العرب، دار الكتاب العلمي ودار الكتاب اللبناني بيروت، دط، د ت.

40. نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرّحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمّان، ط 1، 2008.

المـجـلاّت:

1. زيتوني لطيف، السيميولوجيا وأدب الرّحلات،عالم الفكر، مج:24، ع3 ،1996.(مجلة).

2. عبد الصمد عزوزي، الرّحلة في المغرب العربي، دوافعها، أنواعها، روّادها، دراسات أدبية دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 8، 2010.

3. نادية محمود عبد الله، الرّحلة بين الواقع والخيال في أدب" اندريه جيد"، عالم الفكر مج 13، ع 4، 1983.

4. محمد رضا الرحمن القاسي، الرحلة وآدابها في اللغة العربية، مجلة الداعي الشهير الصادرة عن دار العلوم،ع 6 ،7 ، 1434.

الرسائل الجامعية:

1. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرّحلة: نسيج الواقع والخيال، الجامعة الأمريكية، بيروت، د ط، 2003،(أطروحة ماجيستير).

2. عبد الله بن عثمان الياقوت، أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلس من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، المملكة العربيّة السعودية، د ط، 2001.(أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه).

الـــمـلحق

الشيخ الصديق حمادوش

الصفحة الأولى من رحلة ابن حمادوش

الصفحة الأخيرة من رحلة ابن حمادوش

هو" عبد الرزاق بن محمّد"" المعروف بابن حمادوش"، عاش في القرن الثاني عشر للهجرة الموافق لـ الثامن عشر ميلادي، ولِد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ الموافق لـ 1659، أمّا تاريخ ومكان وفاته مجهولين، إلاّ انه مات وعمره تسعين سنة، تقلّد بعض الوظائف الدّينية، وعندما بلغ العشرينات من عمره رحل إلى العالم الإسلامي، وأوّل رحلته كانت إلى الحجّ ثم إلى المغرب الأقصى فالمشرق، وكان والده يعرف بالحاج محمّد الدّباغ، عائلته كانت من الأغنياء إلاّ أنّ " ابن حمادوش" عاش فقيرا لأنّه امتهن العلم لا الدّباغة.[1]

درس بالمغرب على يد كلّ من" أحمد الورززي"،" و" محمد البنّاني" وتحصّل منهم على إجازات سجّلها في الجزء الثاني من الرّحلة.

كان معاصرا في الجزائر لعلماء بارزين كـ أحمد بن عمار والحسين الورثلاني، اهتم" ابن حمادوش بمجموعة من العلوم من بينها: الطب والفلك، كما كتب عن نفسه، وهو في عزّ شبابه سنة 1145م، حيث أصبح طبيبا وصيدليا وعشّابا، كما انه كان كثير الإطلاع على كتب الطّب قديما والعربيّة والأجنبية، قرأ ولخّص ودرس تأليف" ابن سينا" و" ابن بيطار"، كما ألّف عدّة رسائل وكتب في الفلك فقد وضع تأليفا أضاف فيه ما تعلّمه من كتاب عبد الرّحمان الفاسي.[2]

هذا الاهتمام هو الذي جعل مؤلّفات"ابنحمادوش" يغلب عليها الطّابع الفقهي أو الأدبي الذي كان لدى علماء عصره، ونذكر بعض أعمال أو مؤلفاته في هذا الميدان:

- شرح على قصيدة الرّبع على كردفر.

---

[1]– ينظر، أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، لبنان، ط 3، 1990 ص ص 423– 424.

[2]– ينظر، أبو القاسم سعد الله،(تاريخ الجزائر الثقافي)، (المصدر السابق)، ص 425.

- تأليف على الرزنامة تأليف في الأعشاب(لعلّه هو كشف الرّموز المطبوعة).
- تأليف في علم الفلك(ذكر سبعة تواريخ نعلمها جميعا).
- تأليف في الأسطولات والرّبع المقنطر.
- تأليف في القوس لرصد الشّمس.
- تأليف من الرّخامة الظليّة بالحساب.
- تأليف في سورة الكرة الأرضية.
- تأليف في علم البلوط(معرفة الطّرق البحرية).
- الجوهر المكنون(في الطب).
- بغية الأديب من علم التكعيب واسمه أيضا فنسخ المجيب في علم التكعيب.
- تأليف في علم البونيّة.
- تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.
- تأليف في الطاعون.[1]

أقسام الرّحلة وأجزاؤها:

إذا اتجهنا إلى تحديد هذه الرّحلة ونسبتها إلى مؤلّفها حيث أنّها رحلة غايتها طلب العلم والتّجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان، فقد ألّف" ابن حمادوش" هذه الرّحلة الموسومة بـ" لسان

[1]– ينظر، أبو القاسم سعد الله،(تاريخ الجزائر الثقافي)، (المصدر السابق)، ص 226.

المقال في النبأ عن النّسب والحسب والحال" وقد سمّاها بالرّحلة رُغم أنّها مبنية على الأيّام والشّهور والسّنوات.[1]

كما يمكننا تقسم الجزء الثاني من الرّحلة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأوّل قسم المغرب الذي تطرّق فيه إلى عادات أهل المغرب والتي تشكّل موروثا خاصّا بهم، كما حافظوا عليها للأجيال القادمة فهم الخلف الصّالح للسّلف الذين أدّوا وظيفتهم على أكمل وجه وبالنّسبة للعلماء والشّيوخ الّذين التقى بهم أخذ عنهم دروسا ومحاضرات معرفيّة مميّزة مهّدت له الطّريق لرحلته الطّويلة التي دامت أكثر من أربع سنوات.[2]

والقسم الثاني تناول فيه النشاط الشّخصي في الجزائر من قراءات وتدريس وتأليف، فكلّ أعماله كانت متميّزة وفقا لمنهجه وأسلوبه الذي طغى عليه الجانب الأدبي الرّاقي، فهو امتهن مهنة رحّالة مجيد، عبّر بأسلوبه الخاص وانتهج منهجا فيه صعوبات عدّة، لكن رُغم هذا كتب العديد من التآليف الأدبيّة التي لازالت راسخة في الأذهان إلى حدّ الآن.[3]

أمّا بالنسبة للقسم الثالث وهو الجزء الأخير فتناول فيه النصوص والوثائق التي أوردها مثل قائمة وُلاّة الجزائر الذين كانوا حكّاما صارمين في جزائر العزّة والكرامة.[4]

---

[1]– ينظر، أبو القاسم سعد الله،(الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري)، المرجع السابق، ص 57.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 57.

[3]–ينظر، م. نفسه ، ص 58.

[4]– ينظر، م. ن، ص 58.

تعتبر رحلة" ابن حمادوش" الجزائري المسماة بـ" لسان المقال في النّبأ عن النّسب و الحسب والحال" رحلة معرفية واستكشافية ذات طابع أدبي راق، فهي تشخّص بعمق اهتمام مجموعة من الرّحّالين أمثال" اليعقوبي" صاحب كتاب" البلدان" الذي عبّر فيه عن حبّه الشّديد للرّحلة وتطلّعه لمعرفة أسرار وخبايا الأوطان.

كما أنّها تحكي رحلات" ابن حمادوش" المتكررة إلى بلدان مختلفة حيث عايش أحداثا ووقائع وصفها بكلّ دقة وموضوعيّة فتلك الأحداث شكّلت منعرجا حاسما في حياته ورحلاته.[1]

فمسيرة الرّحلة طويلة وُجِدت منذ العصر الجاهلي وذلك عن طريق التّجارة بغية تحسين الظروف المعيشية وهذا ما جعلنا نضع الرّحلة في هذه الفترة الزّمنية، ثمّ بدأت تظهر كشكل أدبي مع الفتوحات الإسلامية، وخصوصا خلال القرن الثالث الهجري، فلم يبق هدفها منحصرا داخل القوقعة الماديّة فحسب بل تعدّى إلى التفكير في أحوال الناس وأوضاعهم الإدارية والسيّاسيّة وبالأخص الدينية والاجتماعية، ففي رحلة" ابن حمادوش" مجموعة من الأحداث والوقائع والمشاهد التي شاهدها بأم عينه، فأوّل يوم منها كان ليلة الاثنين فاتح عام 1156 عربية حين بلغ ثمانية وأربعين سنة توجّه إلى المغرب أين كان مقصده الأوّل إلى جبل طارق ووصفه للوقائع الحاصلة آنذاك" وأوّل درجة من السنة السابعة من افتتاح سنة ثمانية وأربعين عجمية من ولادتي".[2]

كما" أن ابن حمادوش" يدقّق في التفاصيل ويصف الوقائع كما شاهدها دون تحريف أو تحيّز.

تبدأ" رحلة" ابن حمادوش" بحادثة وقعت أثناء سفره من الجزائر إلى المغرب ألا وهي وفاة " الحاج ابن كرشال" الذي توفي على ظهر السفينة"ولمضي أربعة أدراج من غروب شمس ليلة

---

[1]– ينظر،أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 11.

[2]– المصدر نفسه، ص 29.

الجمعة مات الحاج عبد القادر المذكور بالوباء..."[1]يصف وقائعه ومشاهداته أثناء سفره إلى المغرب كما وصف كذلك وفاة صديقه.

وبعد دخوله تطوان وجد عادة قبيحة نفر منها وهي عادة المكس التي اعتبرها عادة ذميمة يقوم بها المغاربة" وكانت عادة قبيحة بتطوان أنهم يأخذون كل ما معك ويحملونه إلى دار العشر ثم يتخلّصون إلى أكل أموال الناس بالباطل".[2] تحدّث عن عادة مذمومة يمارسها المغاربة في ميناء تطوان واعتبرها قبيحة جدا.

ومن أهم ما سجّله "ابن حمادوش" عن المغرب مجموعة من العلماء والشيوخ وأخبارهم ولا شك أنّ رحلته ستظل مصدرا مهما، وفي مقدّمة هؤلاء" محمد بن عبد السلام البنّاني" و" الشيخ الورززي" اللذان درس على أيديهما" ونزلت في فندق السرايري... فلقيت الشيخ امحمدالبنّاني الفاسي عند باب داره لأني كنت أتيت له بأمانة من الجزائر".[3] التقى الرّحالة بعلماء عرب وأخذ عنهم الدّروس والقيم وسلّم البنّاني أمانة من الجزائر.

ومن غرائب ما شاهد أثناء رحلته إلى المغرب وجدهم يحصدون الشعير في شهر أبريل " من غريب ما رأيت في هذا الطّريق وجدتهم يحصدون الشعير في خامس أبريل... ومن غرائب ما رأيت في هذا المرج قوارب يصطادون بها السّمك والطّير والبيض".[4] تحدّث عن الغرائب كان أمرا مميّزا في رحلة" ابن حمادوش" حيث استغرب من أمور عدة وكأنّها عجائب العصر ومنها اصطياد البيض.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 30.

[2]–المصدر نفسه، ص 31.

[3]– م. نفسه، ص ص 32– 33.

[4]– م.ن، ص ص 73– 74.

أثناء عودته إلى الجزائر تحدّث عن تعلّمه الأعشاب كما ذكر بعض العادات الاجتماعية الشائعة في الجزائر في وقته من ذلك الصلاة المعهودة عقب ختم البخاري، وقارن بين فاس والجزائر في كيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف" وفي ذهابي له لقيت الطبّالين والعيّاطين وآلات الطرب كلّها في السوق ذاهبين بأربعة قباب من شمع كل واحدة من لون... أخفّ مما يجعل في الجزائر عندنا"[1] قارن الرّحالة بين الجزائر والمغرب في طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

بالإضافة إلى ذكر نقوله من بعض الكتب منها نقوله من كتاب الدول للملطي، وتأليفه لكتاب الجوهر المكنون في الطّب، ولقائه مع بعض العلماء كـ" ابن ميمون" الذي سرد معه مسائل في الأدب، ووصف لنا طريقة قراءة البخاري بالجامع الكبير" وفي يوم الأحد حادي عشر رجب الموافق ثامن وعشرين يوليه ابتدأنا سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير ووقفنا على كتاب الوضوء"[2] لابن حمادوش الرّحالة الجزائري تآليف عدّة قام بوصفها وسرد ما جاء في رحلاته الشيّقة والممتعة.

في عقود الزواج التي ذكرها في الرّحلة مادّة عزيزة للباحثين فمنها نعرف أنواع العملة المتداولة وهي الدينار ونوع الصّداق وقيمة هذا الصّداق حسب الأهمية الاجتماعية للزوج فالقفاطين وقناطير الصّوف كلّها كانت تشكّل القاعدة العامة للصّداق، ويظهر ذلك خلال عقد زواجه" وعليه عادة بلادنا، وبمثله جرى العمل عندنا عقد لي في حداثة سنّي على ابنة عمي وصورته:..... الحمد لله، تزوّج على بركة الله وتوفيقه المكرم الشّاب عبد الرزّاق ابن الحاج محمد

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 84.

[2]–المصدر نفسه، ص 216.

ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمّه المكرم الحاج أحمد الدبّاغ وتحت ولاية نظره على صداق قدره... قفطان واحد وثلاثة قناطير صوف...".[1] ركّز الرّحالة على الزواج وعقوده كون ذلك الأخير رابطة مقدّسة وهي الجمع بين اثنين في الحلال كما بيّن الصّداق وقيمته بالنسبة للمرأة.

بنى الرّحالة" ابن حمادوش" رحلته على الأيّام والشّهور والسّنوات فهو ركّز تركيزا كبيرا على التّواريخ وفصّل فيها، دون نسيان أي حدث مهم صادفه في رحلاته المتعددة.

[1]–أبو القاسم سعد الله،(رحلة ابن حمادوش الجزائري)، (المصدر السابق)، ص 241.

جاءت مذكرتنا بعنوان "أدب الرحلة الجزائري" ، فاخترنا رحلة " ابن حمادوش الجزائري" المسمّاة لسان المقال في النبأ عن النسب والحال " أنموذجا والتي حاولنا من خلالها التعرف على نشأة أدب الرحلة وأهميته لدى القرّاء، وكذا دوافعه وأغراضه.

فرحلة "ابن حمادوش" جاءت مواكبة للعهد العثماني في تجاوزها للزّمن فبذلك طغى عليها الزمن الماضي.

أمّا فيما يخص العنصر الثاني ألا وهو معالجتنا لرحلة من التّراث العربي، فنجد الرّحّالة يصوّر مشاهد ووقائع صادفته في رحلته حيث اعتمد على السّرد والوصف الدّقيق حتى يجلب اهتمام القارئ.

كما نجد الرّحّالة قد أضفى نوعا من الطّرافة في رحلته والّتي كانت مميّزة بتميّز صاحبها وروحه المرحة في السّرد والحكي وخير دليل هو أنها موجودة بين أيدينا، وظلّت راسخة إلى حدّ الآن.

الصفحة

مقدمة.....**ج**

مدخل: أدب الرّحلة

1- الرّحلة في المفهومين اللغوي والاصطلاحي 06

1-1-لغة 06

1-2-اصطلاحا.....08

1-3-في القرآن الكريم والسنة النبوية.....09

2- مفهوم أدب الرحلة.....11

3- الرحلة العربية قبل الإسلام.....13

4- الرحلة في الإسلام.....15

الفصل الأوّل: حول نشأة أدب الرّحلة

تمهيد.....19

1- حول نشأة أدب الرّحلة.....19

2- أهمية أدب الرّحلة.....23

3- دوافع الرّحلة، أغراضها، أنواعها.....32

4- أدب الرّحلة في العالم العربي.....41

5- أدب الرحلة في الجزائر وقيمته.....53

الفصل الثاني: دراسة وصفية لرحلة "ابن حمادوش الجزائري"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال".

1- موضوعات الرّحلة وقيمتها.....73

2- أسلوب الرّحلة ومناهجها.....93

خاتمة.....110

المصادر والمراجع.....113

الملحق.....120

ملخص المذكرة.....130

الفهرس.....132